الطلاق وحش مفترس .. يهدد كيان الأسرة

التوحيد

أحكام العين والحسد

لغة الإسلام شموخ على مدى الأعوام

قصة الشجرة النبوية والشيعة

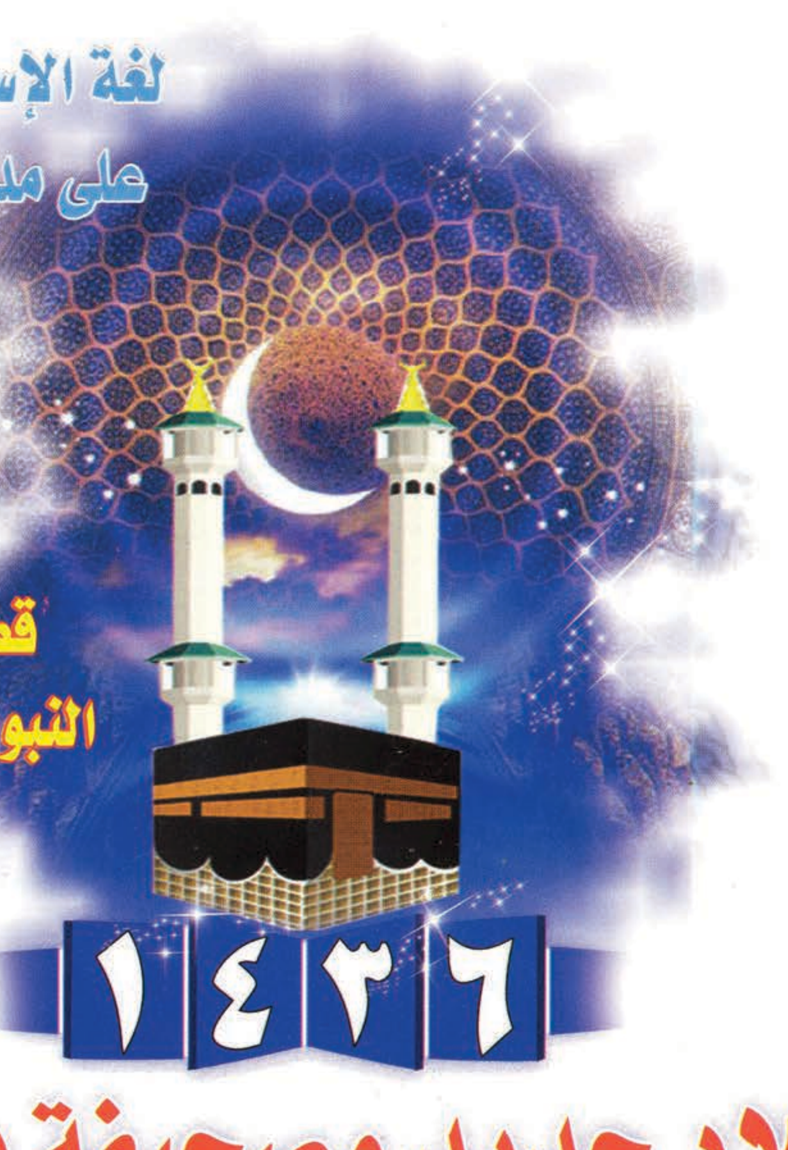

ميلاد جديد وصحيفة بيضاء

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥١٧ السنة الرابعة والأربعون المحرم ١٤٣٦ هـ الثمن جنيهان

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

فلنستقبل عامنا الجديد

عام آخر مَرَّ ونحن شاهدون، لا نستطيع للأيام إمساكًا، ولا من عاقبتها فكاكا، وما مضى من أعمارنا، فهو شاهد علينا، وقد كبر المولود، وشاب الشاب، يحتفل الكثيرون بمرور الأعوام، والعاقل يعلم أن ما مضى من عمره كان أجلاً لا يدري ما الله قاض فيه، وأن ما بقي من عمره أجل لا يدري ما الله فاعل فيه. ذهب الشباب، وجاء الشيب، ومن الناس من شاب في غير طاعة الله، كما قيل لرجل من الشعراء: عَجِل عليك الشيب، فقال: وكيف لا يعجل وأنا أعصر قلبي في عَمل لا يُرجى ثوابه، ولا يُؤمن عقابه.

ومنهم من يشيب في تدبر القرآن والخوف من الله تعالى، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «شيبتني هود وأخواتها»، ومنهم من يشيب من كثرة الموعظة والتذكير والخوف على لغة العرب، كما قال عبد الملك بن مروان: «شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن». فالشيب عنوان الكبَر، ونذير الموت المنتظر، فيه يضعف البصر، ويتبدل الصَفو إلى الكدر.

ذهب عام ليلحق بما قبله تاركا تجاربه وآلامه، والعاقل من اعتبر بالماضي واستقبل لياليه وأيامه، ونظر إلى ما اعوج من سلوكه وانقض فأقامه، فما زاد شيء إلا نَقَصْ، ولا قام إلا شَخَصْ، ولا يبقى إلا الأثر والقَصَصْ.

فاللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك فيه.

التحرير

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٢ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٢ سنة كاملة

إعداد/ علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا». (صحيح البخاري ٦٠٦٤)

البدع الواقعة في يوم عاشوراء

قال ابن القيم: «وأما أحاديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء فمن وضع الكذابين. وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن. والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة. وأهل السنة يفعلون ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم. ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع». (المنار المنيف)

من أقوال السلف

عن محمد بن إسحاق قال: قلت لأحمد بن نصر، وحدث بخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنأخذ به؟ فقال: أترى على وسطي زُنَّارًا، لا تقل لخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أتأخذ به وقل أصحيح هو ذا؟ فإذا صح الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قلت به شئت أو أبيت. (ذم الكلام للهروي)

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» (صحيح مسلم ٢٧١٧)

حكم ومواعظ

قال الحسن البصري: «عجبًا لمن خاف العقاب ولم يكفّ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل».

وقيل لبكر بن عبد الله: «صف لنا الدنيا. فقال: ما مضى منها فحلم؛ وما بقي فأماني» (العقد الفريد)

من الطب النبوي

الدواء بالعجوة للسحر

عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تَصَبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» صحيح البخاري

من أخلاق السلف

قال الأعمش: كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضا عدناه.

غذاء الألباب

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

الحلقة ٦٥

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

ما يزال حديثنا موصولاً عن أوجه الترجيح بالأمر الخارجي، وقد ذكرنا منها خمسة طرق، وهي:

١- الترجيح بالأحوط.

٢- الترجيح بما عليه العمل عند أكثر أهل العلم.

٣- الترجيح باستصحاب أصل أو قاعدة.

٤- تقديم القول على الفعل إذا تعارضا.

٥- الترجيح بعمل الخلفاء الراشدين.

ونستأنف البحث - بإذن الله تعالى -:

الطريقة السادسة: الترجيح بعمل أهل المدينة:

المشتهر عند مالك وأصحابه أن عمل أهل المدينة حجة، وأنهم يرجِّحون به، فهل هذا الكلام على إطلاقه؟

فصَّل شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة تفصيلاً دقيقا محكما، فقال بعد أن ذكر ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة الأولى: كان مذهب أهل المدينة أصح مذاهب أهل المدائن، فإنهم كانوا يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمصار، وكان غيرهم من أهل الأمصار دونهم في العلم بالسنة النبوية واتباعها... ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة النبوية.

ثم قال: والتحقيق في مسألة إجماع أهل المدينة أن منه ما هو متفق عليه بين المسلمين، ومنه ما هو قول جمهور أئمة المسلمين، ومنه مالا يقول به إلا بعضهم.

وذلك أن إجماع أهل المدينة على أربع مراتب:

الأولى: ما يجري مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد.. فهذا حجة باتفاق العلماء، أما الشافعي وأحمد وأصحابهما فهذا حجة عندهم بلا نزاع كما هو حجة عند مالك، وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه..

المرتبة الثانية: العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه، فهذا حجة في مذهب مالك وهو المنصوص عن الشافعي، وكذا ظاهر مذهب أحمد... وما يعلم لأهل المدينة عمل بقديم على عهد الخلفاء الراشدين مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

المرتبة الثالثة: إذا تعارض في المسألة دليلان كحديثين وقياسين جهل أيهما أرجح، وأحدهما يعمل به أهل المدينة، ففيه نزاع، فمذهب مالك والشافعي أنه يرجح بعمل أهل المدينة، ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح بعمل أهل المدينة، ولأصحاب أحمد وجهان، ورجح ابن تيمية قوله بالعمل به... فهذه مذاهب جمهور الأئمة توافق مذهب مالك في الترجيح لأقوال أهل المدينة، وأما المرتبة الرابعة: فهي العمل المتأخر بالمدينة، فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعه أم لا؟

فالذي عليه أئمة الناس أنه ليس بحجة شرعية، هذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم، وهو قول المحققين من أصحاب مالك... وربما جعله حجة بعض أهل المغرب من أصحابه وليس معه للأئمة نص ولا دليل بل

هم أهل تقليد... ولم أر في كلام مالك ما يوجب جعل هذا حجة... (انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ت ٧٢٨ هـ، ٢٠ / ٢٩٤ - ٣١٠).

مثال للمالكية يرجحون فيه بعمل أهل المدينة إضافة إلى أدلتهم الأخرى: دعاء الاستفتاح: فالجمهور من أهل العلم على أنه سنة مستحبة، كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته، قال: أحسبه هنية، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول: قال: أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد. (متفق عليه) إلا أن المالكية ذهبوا في المشهور عندهم إلى كراهة الدعاء بعد التكبير، وقبل القراءة فقد ورد في مختصر خليل المالكي: فصل في فرائض الصلاة وسننها ومندوباتها ومكروهاتها، وذكر من المكروهات: الدعاء قبل القراءة. [انظر: مختصر خليل المالكي ت ٧٧٦، صـ ٣٣.

ودليل المالكية هو عمل أهل المدينة الذين أدركهم الإمام مالك لا يستفتحون بالدعاء قبل الفاتحة، وكذلك بحديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين (متفق عليه).

وحديث المسيء صلاته ولم يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الاستفتاح، (حديث المسيء صلاته) رواه أبو هريرة رضي الله عنه وهو في البخاري ومسلم، ويجاب عن ما ذهب إليه المالكية (في المشهور عنهم) بالتالي

أولا: أن عمل أهل المدينة هنا ليس بحجة لأنه مخالف؛ لما صح من نصوص مستفيضة باستحباب دعاء الاستفتاح.

ثانيا: الأدلة التي استدلوا بها، حديث أنس رضي الله عنه لم يتعرض فيه دعاء الاستفتاح لا نفيا ولا إثباتا، ولكنه يدل على عدم الجهر بالبسملة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر كانوا يقرءون في كل صلاة بالفاتحة قبل السورة. وهو على العموم ليس بحجة لمن نفى أو أثبت دعاء الاستفتاح، وكما هو معلوم أن النص إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، والعمدة في ثبوت دعاء الاستفتاح هي الأحاديث الواردة صراحة بخصوصه. أما حديث المسيء صلاته فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتطرق فيه لمستحبات الصلاة، إنما ذكر الفرائض فقط.

رابعاً: الترجيح بالدلالة:

(تذكرة: نحن نتكلم منذ عدة أعداد - بفضل الله تعالى - عن طرق الترجيح بين الأدلة النقلية، وذكرنا أن لها أربعة أوجه، هي:

أولاً: الترجيح من جهة السند.
ثانياً: الترجيح من جهة المتن.
ثالثاً: الترجيح لأمر خارجي.

وانتهينا من الأوجه الثلاثة بأقسامها وأمثلتها، وستبدأ الكلام عن الوجه الرابع، وهو الترجيح بالدلالة.

تمهيد:

الدليل الشرعي إما منقول وإما معقول، أو ثابت بالمنقول والمعقول، فالمنقول: الكتاب والسنة، ودلالتهما، إما من منطوق اللفظ أو من غير منطوق اللفظ، فالأول: يسمى منطوقا، كفهم وجوب الزكاة في السائمة في قوله عليه الصلاة والسلام في سائمة الغنم الزكاة.

والثاني: يسمى فحوى ومفهوما، كفهم عدم وجوب الزكاة في المعلوفة في الحديث المتقدم.

والدليل المعقول: القياس، لأنه يستفاد بواسطة النظر العقلي.

أما الدليل الثابت بالمنقول والمعقول: النص الشرعي المنقول من الكتاب والسنة له دلالات متعددة، قد تكون ظاهرة، وقد تكون خفية تحتاج إلى التدبر والاستنباط. وهذه الدلالات اصطلح العلماء على تسميتها: دلالات النص وهي عند الجمهور تنقسم إلى قسمين: دلالة منطوق ودلالة مفهوم. بينما قسمها الأحناف إلى أربعة أقسام، هي عبارة النص، إشارة النص، دلالة النص، اقتضاء النص. والأقسام الثلاثة

الأولى عند الأحناف (هي المقابلة لدلالة المنطوق عند الجمهور).

أما الدلالة الرابعة (اقتضاء النص) فهي المقابلة عند الجمهور لمفهوم الموافقة، أما مفهوم المخالفة فهو ليس بحجة عند الحنفية ويسمونه دلالة المخصوص (انظر أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض بن نامي بن عوض السلمي صـ٣٨٨، ٣٨٩، هامش روضة الناظر لابن قدامة ت ٦٢٠ هـ، ١/١٠٩ط. الريان).

وترجع أهمية معرفة أقسام هذه الدلالات ومراتب قوتها إلى أنها تستخدم في الترجيح في حالة التعارض الظاهري بين النصوص وعدم استطاعة الجمع، كما هو مقرر.

فنرجح بدلالة المنطوق على دلالة المفهوم (عند الجمهور) أو نرجح بدلالة العبارة على دلالة الإشارة... (عند الأحناف) وهكذا.

أولاً: دلالة النص عند الجمهور

١- دلالة المنطوق:

وهو المعنى المستفاد من صريح اللفظ كقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ» (البقرة: ١١٠)، فمنطوق الآية يدل على الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفي قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ» (الأنعام: ١٢١)، فمنطوق الآية يدل على النهي عن الأكل من متروك التسمية.

٢- دلالة المفهوم: وهو المعنى اللازم للفظ ولم يصرح به فيه، وينقسم إلى قسمين: مفهوم الموافقة كقوله تعالى: «فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ» (الإسراء: ٢٣)، فمفهوم الموافقة من الآية هو: تحريم الضرب والشتم ونحو ذلك. لأنهما أشد في الإيذاء من التأفيف المنهي عنه بمنطوق اللفظ (هذه الدلالة سميت بمفهوم الموافقة، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، والقياس الجلي).

ومفهوم المخالفة: وهو أن المسكوت عنه يكون حكمه مخالفاً للمذكور في النص. كما في حديث: في سائمة الغنم الزكاة (وهذا الحديث رواه البخاري بمعناه، ولفظه هو: وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة... الحديث، وقال ابن الصلاح في كلامه على هذا الحديث: موجود معناه في صحيح البخاري، وأحسب أن قول (الفقهاء) والأصوليين: في سائمة الغنم الزكاة اختصار منهم للمفصل في لفظ الحديث... (البدر المنير لابن الملقن ت ٨٠٤هـ، ٥/٤٥٩).

فمفهوم المخالفة المستفاد من الحديث، هو أنه ليس هناك زكاة على غير السائمة (ومفهوم الموافقة حجة عند العلماء، أما مفهوم المخالفة فليس بحجة عند الحنفية وبعض الشافعية كالغزالي حيث لم يعتبروه حجة). (انظر هامش روضة الناظر لابن قدامة، ت ٦٢٠، ٢/٧٢).ط. الريان.

ثانياً: دلالة النص عند الأحناف:

وتقسيم الأحناف لدلالة النص إلى أربعة أقسام: ربما يكون أيسر في الترجيح عند التعارض وعدم إمكانية الجمع، لذا فإن البحث سيركز على تقسيم الأحناف:

١- دلالة العبارة: وهو المعنى الذي يتبادر فهمه من صيغة النص أصالة أو تبعاً مثال ذلك: في قوله تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟» [البقرة: ٢٧٥، فالمقصود من الآية - أصالة - أن البيع ليس مثل الربا، لأن الآية سيقت للرد على الذين قالوا إنما البيع مثل الربا والمقصود من السياق تبعاً: أن حكم البيع الحل، وحكم الربا التحريم؛ لأن نفي المماثلة استتبع بيان حكم كل واحد منهما، لأنهما ليسا مثلين، ولو كان النص للمقصود من السياق أصالة فقط لقال: وليس البيع مثل الربا.

مثال ٢: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟) (النساء: ٣)، فيفهم من دلالة العبارة في النص ثلاثة معان: معنيان مقصودان أصالة، وهما:

أ. تحديد الحد الأقصى للزوجات بأربع.

ب. وجوب الاقتصار على واحدة إذا خيف الجور. ومعنى مقصود تبعاً:

ج. إباحة زواج ما طاب من النساء؛ لأن الآية سيقت لمناسبة الأوصياء على القُصّر الذين يتحرجون من قبل الوصاية خوف الجور في أموال اليتامى، فالله سبحانه وتعالى يبين لهم أن خوف الجور يجب أن يحول أيضاً بينكم وبين عدد الزوجات إلى غير حد وبغير قيد، فاقتصروا على اثنتين أو ثلاث أو أربع، وإن خفتم ألا تعدلوا حين التعدد، فاقتصروا على واحدة، وهذا هو المقصود الأصلي من سياق الآية، أما إباحة الزواج فمقصود تبعاً لا أصالة. (انظر أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ت ١٣٧٥ صـ ١٤٤؛ ١٤٥).

٢- دلالة الإشارة: وهي دلالة اللفظ على معنى غير مقصود بسياق الكلام، ولكنه لازم للمعنى الذي سيق له الكلام مثال: قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحشر: ٨)، ففي الآية أن الله تعالى وصف المهاجرين بأنهم فقراء، وهذا يستلزم زوال ملكهم عن أموالهم التي تركوها حين خرجوا من ديارهم، لأن النص عبر عنهم بلفظ الفقراء، وهذا يستلزم أن لا تكون أموالهم باقية في ملكهم (انظر أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض بن نامي صـ ٣٨٨، أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، صـ ١٤٨؛ ١٤٥).

(فائدة: دلالة العبارة في الآية استحقاق المهاجرين نصيبهم من الفيء).

مثال ٢: قال الله تعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٣٣) دلالة الإشارة من الآية:

١- أن الأب لا يشاركه أحد في وجوب النفقة على أولاده، لأن أولاده له لا لغيره.

٢- أن الأب إذا احتاج إلى مال ولده، له أن يأخذ منه لأن ولده له فمال ولده له، كما بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رجلاً قال يا رسول الله إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي (يأخذه كله)، فقال: أنت ومالك لأبيك (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

فوائد:

١- يأخذ الوالد على قدر النفقة إذا كان محتاجاً إليها، أما أن يفهم الحديث على إباحة أخذ الوالد لكل مال ولده حتى يجتاحه ويأتي عليه، فلا أعلم أحداً ذهب إليه من الفقهاء. (انظر معالم السنن للخطابي ت ٣٨٨، ١٦٦/٣).

٢- دلالة العبارة في النص: أن نفقة الوالدات من رزق وكسوة واجبة على الآباء وهو منطوق الآية).

٣- دلالة النص: وهي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق (أي: عبارة النص) المسكوت عنه لاشتراكهما في علة الحكم، وهذه العلة تدرك بمجرد فهم اللغة، لا تتوقف على بحث واجتهاد، وتدل على كون المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق، أو مساوياً له.

مثال١:

قوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة ٢٩).

دلالة النص: أخذ الجزية من الوثني- وهو المسكوت عنه في الآية - لأنه أولى بالصغار من الكتابي، وهذه مسألة خلافية (فائدة: دلالة العبارة: أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم صاغرون) وهو منطوق الآية.

مثال٢:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء: ١٠).

دلالة الإشارة: تحريم كل صور إتلاف أموال اليتامى من إحراق وإغراق وغير ذلك، وهذا مسكوت عنه في الآية، فنبه بالمنع عن الأكل على كل ما يساويه في الإتلاف. (انظر تيسير علم أصول الفقه للجديع ص٣١٤، ٣١٥).

فوائد:

١- هذه الصورة تسمى بقياس المساواة.

٢- دلالة العبارة في الآية: حرمة أكل أموال اليتامى، وهو منطوق الآية، هذا والله أعلم.

وللحديث بقية- إن الله شاء-، والحمد لله رب العالمين.

القرآن الكريم المصدر الأول للعقيدة والشريعة

إعداد/ د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

القرآن الكريم: هو المصدر الأول للشريعة أصولها وفروعها، وكل أصل بعده فهو راجع إليه ومعتمد عليه، وهو أفضل الوحي المنزَل على وجه الإطلاق، وكل ما تضمنه فهو حق وصدق كما قال جل شأنه: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» (النساء: ١٢٢)، وقال: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» (النساء: ٨٧).

وقد تواتر نقله عن العدول الضابطين، وعامة ما ورد فيه من قضايا العقائد هي نص في معناها ودلالتها؛ إذ لا يتصور أن يترك الله (جل جلاله) أمر العقائد الدينية غير واضحة مع أنها أصل الدين ومبناه، وأول الواجبات على العباد، مع تفصيله وتبيينه لأحكام الفروع؛ إذ منزلة العقيدة من الدين منزلة الرأس من الجسد.

وقد نهج القرآن الكريم في إيضاح العقائد طريقين:

الطريق الأول: سياق الآيات القرآنية في مدلولاتها العقدية سياق الأخبار المسلمة التي بلغت من وضوح الدلالة ما لا يتصوَّر معه إنكار أحد لها.

الطريق الثاني: سياق الآيات القرآنية جارية على موازين العقول الصحيحة كما في قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» (الأنبياء: ٢٢).

والمعنى: أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدت السموات والأرض، لكنهما لم تُفْسَدَا؛ فالنتيجة ليس فيهما آلهة إلا الله.

وعلى هذا فقد جمع القرآن الكريم في دلالته على العقائد الإلهية بين الخبر وموازين العقل الصحيح، خلافًا لما يدَّعيه بعض المتكلمين: من أن دلالة القرآن دلالة خبرية محضة خالصة. وليس أدل على بطلان هذا القول من مجيء نوعي الدلالة العقلية والخبرية في نصوص القرآن الكريم إلا أن الدلالة العقلية القرآنية أكمل وأتم من دلالة الأدلة العقلية المنطقية.

عناية القرآن الكريم بالعقيدة:

القرآن الكريم هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر والأبصار، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. وهذا كله معلوم من الدين علمًا ضروريًا لا يحتاج إلى استدلال عليه.

وقد أوفى القرآن الكريم على الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في النفوس على أتم وجه وأكمله، وبخاصة في السور المكية، إجمالًا وتفصيلًا. وكان أول ما أنزل وحيًا

على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو سورة العلق: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ» [العلق: ١، ٢ . وهي تتضمن أصول الدين والعقيدة من الأدلة العقلية والفطرية والشرعية على وجود الله تعالى وتوحيده، وصدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإثبات البعث.

وفي سائر سور القرآن الكريم، نجد السورة الواحدة تجمع أركان العقيدة بأصول عامة تبين أركان الإيمان -وأعظمها الإيمان بالله تعالى- وما يتفرع عن هذه الأركان وينضم إليها، أو يكون من مقتضياتها ومستلزماتها، وتضع كذلك الإجابة الصحيحة الحاسمة على الأسئلة التي تفسر للإنسان أصل وجوده ونشأته وغايته التي يسعى إليها، والمصير الذي ينتهي إليه بعد رحلته في هذه الحياة، وتحدد علاقته بالله تعالى وبالكون وبالحياة والأحياء من حوله.

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: وغالب السور المكية تقرر ثلاثة معان، أصلها معنى واحد، وهو الدعاء إلى عبادة الله وتوحيده.

وبيان ذلك كما يلي:

المعنى الأول: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه؛ كنفي الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مقربًا إلى الله زلفى، أو كونه ولدًا، أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

المعنى الثاني: تقرير النبوة للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا هو المعنى الثاني الذي قررته آيات القرآن في العقيدة؛ قررت نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه رسول الله إليهم جميعًا، صادق فيما جاء به من عند الله، وهذا المعنى وارد على وجوه أيضًا؛ كإثبات كونه رسولاً -صلى الله عليه وسلم- حقًا، ونفي ما ادعوه عليه من أنه كاذب، أو ساحر، أو مجنون، أو يعلمه بشر، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم.

المعنى الثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة، وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة، والردّ على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به، فردّ بكل وجه يلزم الحجة، ويبكت الخصم، ويوضّح الأمر.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادي الرأي خروجه عنها، فراجع إليها في محصول الأمر. ويتبع ذلك: الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار، ووصف يوم القيامة، وأشباه ذلك.

وإذا كانت العقيدة هي الموضوع الأساسي الرئيسي في السور المكية، فإنها كذلك موضوع رئيسي في السور المدنية التي تنزلت؛ لتعالج قضايا تشريعية تعرض من خلال هذه العقيدة و مقتضى الإيمان بالله تعالى.

ومن هنا، فإن الحديث عن العقيدة لم ينقطع في المدينة؛ لأنه ليس حديثًا يذكر في مبدأ الطريق ثم ينتقل منه إلى موضوع آخر، إنما يذكر في مبدأ الطريق، ثم ينتقل معه إلى كل موضوع آخر.

أساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية والتوحيد:

جاءت أساليب القرآن في هذا الباب على غاية التفنن والإبداع؛ تلطفًا في استدعاء الناس إلى التوحيد، وتأليفًا لقلوبهم، ولفتًا لأسماعهم وأبصارهم، وإقامة للحجة عليهم بكل الأساليب.

ومن ذلك:

١- **الأسلوب الأول:** أسلوب الخبر المجرد؛ بيانًا للحق، وإعلامًا للخلق. كما قال تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الفاتحة: ٢).

٢- **الأسلوب الثاني:** أسلوب الخبر المؤكد: والمؤكدات التي جاء بها القرآن في شأن الوحدانية والتوحيد كثيرة متنوعة. ومنها: التأكيد بـ «إن»، التأكيد باللام، التأكيد بالقسم. ومثالها جميعًا قول الله تعالى: «وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ» (الصافات: ١-٥).

التأكيد أيضًا بأساليب القصر وهو من ألوان المؤكدات: كأسلوب النفي والاستثناء: كقول الله تعالى: «إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ» [طه: ١٤ .

وأسلوب القصر أيضًا بالتقديم والتأخير: كقوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [الفاتحة: ٥ فتقديم المفعول: «إيَّاكَ» أفاد قصر العبادة على الله تعالى وحده.

الأسلوب الثالث: أسلوب الأمثال، وهو باب في القرآن الكريم، يُقصد به تقرير المعاني في نفس السامع، وتصويرها في صورة محسوسة ملموسة عن طريق التشبيه، أو الاستعارة أو غيرهما من أساليب البيان، ومن ذلك: قوله تعالى: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ» (العنكبوت: ٤١).

الأسلوب الرابع: أسلوب المحاورة، وهو الذي يورد فيه الحديث عن التوحيد من خلال حوار يجري بين طرفين أو أكثر، فيتقرر في النفس أكثر من الخبر

المجرد. قال تعالى: « وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا » [مريم: ٤١-٤٢ .

الأسلوب الخامس: أسلوب القصة، وهو أسلوب من أوسع أساليب القرآن في التوحيد وغيره، وقد عنى القرآن الكريم بهذا الأسلوب وأكثر منه؛ لما للقصة من تأثير في النفوس، وسهولة في الحفظ، وانتشار وذيوع بين الناس، وأوضح مثال لذلك قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه وأصنامهم وتحطيمه لها، وتقريره للتوحيد من خلال المشاهد المتتابعة التي جرت بينه وبين قومه كما قص الله علينا ذلك في عديد من سور القرآن الكريم.

ومن ذلك قول الله تعالى: « قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (الأنبياء ٦٦-٦٧).

أنواع الأدلة القرآنية في الدلالة على التوحيد:

النوع الأول: الأدلة الحسية:

والدليل الحسي: هو الذي يسوقه القرآن الكريم ويستخدم فيه الكائنات؛ للتدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وسعة قدرته وعظيم حكمته. والقرآن الكريم يتخذ كل شيء في الكون دليلاً له، خاصة وجود الكون من العدم وانتظامه على قوانين مطردة، ونواميس محكمة، وقيامه على غاية التدبر، والتكامل بين أجزائه، والعناية بما فيه من عجائب الأشياء والأحياء. وفي كل هذا يتجه القرآن الكريم إلى الإنسان مخاطبًا قلبه وفكره، ومطالبًا أن يتأمل بحسه هذه الموجودات؛ لينتقل من ملاحظتها في أوضاعها المختلفة إلى ما وراءها، وليدرك من هذه المقدمات الحسية البَدَهية نتائجها القاطعة، فيعلم أن لهذا الكون ربًا موجدًا، وإلهًا واحدًا، مطلق القدرة والإرادة، واسع العلم والحكمة.

النوع الثاني: الأدلة النفسية:

وهي التي تعتمد في انتزاع الدليل على الوحدانية من داخل الإنسان لا من خارجه، ومن أعماق شعوره الداخلي، ووجدانه الباطني، لا من مدركات حواسه المعروفة. وهذا الدليل بالغ الأهمية للإنسان، وفي قضية الإيمان بالذات؛ حتى يخاطبه -أي: الإنسان- من خارجه ومن داخله جميعًا، فتمتلئ نفسه يقينًا لا يتسرب إليه ريب ولا قلق. وكم من إنسان امتلأ عقله بالمعارف والأرقام، وفنون الإحصاء، وامتلأت حواسه بعجائب هذا الكون، ولكنه يمضي متبلد الإحساس بسبب أنه عطل وجدانه الداخلي، كما قال تعالى: « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ » (الحج: ٤٦).

النوع الثالث: الأدلة العقلية:

وهي الأدلة التي تعتمد على عمليات نظرية فكرية: كترتيب المقدمات، واستخراج النتائج، وذلك على حسب ضوابط وقوانين وراء بداهة الحس، ومشاعر النفس، وإن كان الإدراك في الجميع راجعًا إلى العقل، والأدلة العقلية أوسع مدى من أشكال المنطق اليوناني وضروبه المنتجة.

وقد استخرج العلماء من القرآن الكريم أنواعًا كثيرة من الأدلة العقلية، منها:

الدليل البدهي:

وهو الذي يقوم على استخدام الحقائق المشهورة، والبديهيات المستقرة في ابتناء الدليل عليها، فيذعن الخصم للدليل إذعانًا إن كان منصفًا. ومن ذلك قوله تعالى: « بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ » (الأنعام: ١٠١).

دليل التمانع:

وهو مأخوذ من قوله تعالى: « لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا » (الأنبياء: ٢٢). وتقرير هذا الدليل أن يقال: لو كان للعالم صانعان لكان تدبيرهما لا يجري على نظام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما. وذلك لأنه لو أراد أحدهم إحياء جسم وأراد الآخر إماتته، فحينئذ إما أن تنفذ إرادتهما معًا فيتناقض لاجتماع الضدين. وإما ألا تنفذ إرادتهما معًا فيؤدي إلى عجزهما، أولا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزًا، فبطل ما أدى إليه وهو افتراض التعدد، وثبت نقيضه وهو الوحدانية.

دليل التسليم:

وهو الذي يسلم فيه بوقوع المستحيل تسليمًا جدليًا، ثم يستدل على عدم فائدة هذا المحال على تقدير وقوعه. ومثاله قوله تعالى: « مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ » (المؤمنون: ٩١)

ومعنى الآية الكريمة: ليس معه تعالى من إله، ولو سلم -جدلا- أن معه إلهًا؛ لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، واستعلاء بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع المشاهد خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعدًا محال لما يلزم عليه من المحال.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الصدق والصادقون

إعداد/ **الشيخ مصطفى العدوي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الصدق صفة من الصفات الكريمة، وخلة من الخلال الحميدة، أمرت الشريعة الإسلامية بالتحلي به، والصديقون يحشرون في زمرة الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وبالصدق يشعر العبد بالطمأنينة، وينجو من الهلاك، وتحل به البركة.

وقد حرم الإسلام الكذب بكل صوره، ولم يجزه إلا في ثلاثة مواطن: في الحرب، وبين الزوجين، وفي الإصلاح بين الناس.

الصدق من صفات الله تبارك وتعالى

إن لله سبحانه وتعالى صفات يحب أن يتخلق بها عباده، ولله عز وجل صفات لا يحب أن يتخلق بها عباده، فهي له وحده سبحانه وتعالى، فمن الصفات التي هي لله سبحانه ويحب أن يتخلق بها عباده صفة الكرم، فهو كريم يحب الكرماء، وكذلك صفة العفو عن الناس، فهو عفو يحب العافين عن الناس، وكذلك صفة الجمال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال) [صحيح مسلم: ٩١ ، وصفة الرحمة، فالله رحيم يحب من عباده الرحماء.

ومن هذه الصفات أيضا صفة الصدق، وعليها مدار الحديث إن شاء الله، فالله سبحانه وتعالى قال عن نفسه: « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا » [النساء:١٢٢ ، وقال عن نفسه: « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا » [النساء:٨٧ ، وقال عن نفسه: « قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ » [آل عمران:٩٥ ، فالله سبحانه وتعالى فيه هذه الصفة، فهو سبحانه وتعالى صادق فيما وعد، وصادق فيما أخبر، وصادق في كل شيء سبحانه وتعالى، وليس أحد أصدق من الله قيلاً أبداً، وليس أحد أصدق من الله حديثاً، وأمر الله نبيه أن يقول هذه الكلمة فقال تعالى: « قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » [آل عمران:٩٥ .

الصدق من صفات الأنبياء والمرسلين

إن رسل الله عليهم الصلاة والسلام اتسموا بهذه الصفة وهي صفة الصدق، كما قال تعالى: « بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ » [الصافات:٣٧ ، وقال تعالى: « وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا » [مريم:٤١ ، وقال عن إسماعيل: « إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا » [مريم:٥٤ ، وقال عن إدريس: « وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ

إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا » [مريم:٥٦ ، وقيل عن يوسف عليه الصلاة والسلام ذلك أيضاً بشهادة الكفار كما حكى الله تعالى: « يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ » [يوسف:٤٦ .

حث الشريعة على الصدق والتحذير من الكذب

صفة الصدق في الحديث حث الله عليها، وحث عليها نبينا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في الصحيحين وغيرهما: (عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) [صحيح مسلم ٢٦٠٧ ، فقوله: (عليكم بالصدق) أي: الزموا الصدق، ولا تنحرفوا عنه، ولا تحيدوا عنه، وإن كان في ظاهره المضرة عليكم، وقوله: (ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) أي: على المرء أن يمرن نفسه ويعود نفسه أن يكون صادقاً، فإن كذب مرة يستغفر ويتحرى أن يصدق في المرة القادمة، وبعد الصديق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (وإياكم والكذب -يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الكذب-؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً).

ثمار الصدق:

الشعور بالطمأنينة

الصدق سبب للطمأنينة، فإذا كذبت قذفت إلى قلبك الشك والوساوس، وجلست في هموم وفي غموم، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (دع ما يريبك -أي: ما تتشكك فيه- إلى ما لا يريبك) فأي شيء تشعر أن فيه إثماً وتحتار في أمره اتركه، واعمد إلى الشيء الذي لا شبهة فيه ولا ريب فيه، فقوله: (دع ما يريبك)، أي: ما يشكك ويجعلك توسوس قائلا: هل هو حلال، هل هو حرام فأحياناً شيطانك ينتصر ويحل لك الحرام، وأحياناً تنتصر أنت وتجنح إلى أنه حرام فعلاً، فحينئذ (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة) كما قال عليه الصلاة والسلام. [رواه الترمذي (٢٥١٨) وقال: حسن صحيح .

حصول البركة

الصدق -يا عباد الله- سبب للبركة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما)[والبخاري (١٩٧٣)، ومسلم (١٥٣٢) ، فإن قلت للمشتري: سلعتي فيها من العيوب كذا وكذا وكذا وبينت له بارك الله في بيعكما، واعلم أن بيانك له العيب لن يمنع رزقاً ساقه الله إليك أبداً، فرزقك مكتوب لك وأنت في بطن أمك، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما أخبر به عبد الله بن مسعود عنه: (ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)، فرزقك مكتوب وأنت في بطن أمك، فلا تظن أبداً أن الصدق -الذي هو طاعة لله سبحانه وتعالى- سيسبب لك نقصاً في الرزق، ولا تظن هذا الظن السيئ أبداً، بل على العكس، فالصدق بركة والكذب ممحق للسلعة مذهب للبركة، والذي يخبر بأن البركة ستحل هو رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث قال: (إن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما).

ومن الناس من يغش في كل شيء، حتى إن بعضهم عند بيعه البقرة ونحوها يخزن اللبن في ضرعها ثلاثة أيام حتى يوهم المشتري أنها غزيرة اللبن، وأقوام آخرون عند بيعهم الدجاج يطعمونه طعاماً مليئاً بالملح حتى يشرب الدجاج ماءً كثيراً فيزن وزناً أكبر، فصور الغش والخداع لا تنتهي، ومن صور الغش، من يتاجر في اللبن فيخلط اللبن بغيره ويغش الناس.

فيا عباد الله: كل يتفنن كيف يصل إلى المال عن أي طريق حلال أو حرام، ولا يهمه إلا جمع أكبر قدر من المال، ويحتال بأي حيلة، ويلتمس أي سبب يخادع به نفسه، ويغش به نفسه أولاً، -يا غشاش- ستقف بين يدي ربك عز وجل، ويسألك: لماذا غششت العباد؟ ويؤخذ من حسناتك إلى إخوانك، ويطرح من سيئات إخوانك عليك؛ لأمر قد تراه يسيراً.

ظهور الصدق على وجه صاحبه

الصدق يظهر على وجه صاحبه، والكذب يظهر على وجه صاحبه، قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لما سمعت بمقدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة أتيت فنظرت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو ليس بوجه كذاب، إنما هو وجه رجل صالح صادق.

فالصدق يظهر على وجه صاحبه، والكذب والغش والخيانة كل ذلك يظهر على وجه صاحبه كذلك، وإن حاول أن يرسم على وجهه الابتسامات ليسترها إلا أن

الله عز وجل يفضحه لغشه وخيانته -والعياذ بالله-، ولأكله أموال الناس بالباطل.

النجاة

الصدق نجاة وإن ظننت أنه هلكة، ولا تخفى قصة كعب بن مالك لما تخلف عن غزوة تبوك مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلما رجع الرسول سالماً غانماً آمناً من غزوته جلس في المسجد بعد أن صلى فيه ركعتين -وهذه سنته إذا رجع من الأسفار-، ثم جلس في المسجد فجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم، وجاء المعذرون يلتمسون المعاذير الكاذبة المنتحلة، فما جاءوا يستغفرون بل جاءوا يختلقون الأكاذيب أمام رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يعفو عنهم، وحتى يقبل معذرتهم، فكل التمس سبباً.

وانظر كيف جاء أهل الصدق وأهل الإيمان، فقد جاء كعب بن مالك، فلما سأله النبي عليه الصلاة والسلام: (ما خلفك يا كعب عن الغزوة؟ -وهو الرجل الصادق رضي الله عنه- قال: والله -يا رسول الله- لم يكن لي عذر في التخلف عنك، ووالله -يا رسول الله- لو جلست بين يدي أي رجل من أهل الدنيا لاستطعت أن أخرج منه بمخرج، ولكني أخشى إن كذبت عليك أن ينزل الله في قرآناً يفضحني الله به -أو كما قال كعب - فاقض في يا رسول الله.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه في شأن كعب -وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل أعذار المنافقين-: أما هذا فقد صدق، فامكث حتى يقضي الله فيك) [رواه مسلم ٧١٩٢ .

وهُجر كعب بن مالك خمسين ليلة لا يكلمه أحد من أهل الإسلام، ولا يردون عليه السلام، ولا يبايعونه، ولا يشترون منه، إلى أن جاء أمر أكبر، حيث أمره النبي أن يترك زوجته، حتى اشتد به البلاء، واشتد به الكرب، وكما هو موجود في كل عصر، فإنك إذا صدقت يأتيك شيطان من شياطين الإنس يقول لك: لماذا تصدق؟ كنت ستتكلم بأي كلمة وتخرج من المأزق، وشياطين الإنس لا يخلو منهم زمان ولا يخلو منهم مكان، وضعاف الإيمان لا يخلو منهم زمان ولا يخلو منهم مكان، فجاءه بعض أقاربه وقالوا: يا كعب! ما منعك أن تكون ذهبت إلى رسول الله فقلت له: خلفني كذا وكذا! وبعد ذلك سيستغفر لك الرسول كما استغفر لفلان وفلان من المنافقين، قال كعب: فمن شدة مقالتهم عليَّ هممت أن أذهب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فأكذب نفسي، وأقول له: يا رسول الله كان لي عذر وأختلق الأكاذيب، قال كعب بن مالك: ولكني سألت -وهنا تنفع مجالسة الصالحين والتأسي بهم- هل هناك أحد من الناس قال مثل مقالتي؟ قالوا: نعم.

قال مثل مقالتك هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، قال: فذكروا لي رجلين صالحين لي فيهما أسوة أتأسى بهما، فهما قد شهدا بدراً مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال: وهل لقيا مثل ما لقيت؟ قالوا: نعم، لقيا مثل ما لقيت من رسول الله، يهجرهم الناس وأزواجهم كذلك، إلا أن امرأة هلال استأذنت رسول الله فقالت: (يا رسول الله: إن هلالاً شيخ كبير ضائع لا يستطيع أن يخدم نفسه، فهل عليَّ جناح أن أخدمه؟ قال: لا.

ولكن لا يقربك قالت: والله -يا رسول الله- ما له في النساء من حاجة، والله -يا رسول الله- منذ أن قلت له ما قلت ما زال يبكي).

فانتبه كعب بن مالك إلى أن له أسوة، وصبر حتى أنزل الله عز وجل التوبة عليه، قال الله عز وجل: « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » [التوبة:١١٨

أي: تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا، قال كعب بن مالك: والله لقد نفعني الله بالصدق، فإن الله تاب عليَّ.

أما أهل النفاق فقال الله فيهم شر مقالة، ووصفهم شر وصف، قال تعالى: « سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » [التوبة:٩٥-٩٦ فهكذا وصفهم الله، ومعنى: (إنهم رجس) أي: نجس.

فانظر إلى عاقبة الصدق، وقد ذهب كعب إلى رسول الله وقال: إن من توبتي يا رسول الله أن انخلع عن كل مالي صدقة لله وصدقة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك)، هكذا علمه رسول الله عليه الصلاة والسلام.

شهادة أهل الكفر بصدق النبي عليه الصلاة والسلام

يجب عليك -يا عبد الله- أن تتحلى بهذه الحلة الكريمة، وتتمثل بهذه الخصلة القويمة خصلة

الصدق، فهي دعوة رسولك، فقد سأل هرقل أبا سفيان: بماذا يأمركم محمد؟ قال: يأمرنا محمد بالصدق، فهرقل الكافر علم أن الصدق من خصال الرسل، فقال: والله ما كان ليصدق مع الناس ويكذب على الله، فإذا كان محمد يعلمكم الصدق فكيف يصدق في حديثه مع الناس ويكذب على الله؟! فما كان -عليه الصلاة والسلام- ليكذب على الله، وشهد له بذلك أهل الكفر من المشركين، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما نزلت: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ» [الشعراء:٢١٤ ، ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل الصفا ونادى: يا معشر قريش، يا بني عبد المطلب، يا صفية عمة رسول الله، فاجتمعت له قريش، فقال عليه الصلاة والسلام لهم: يا معشر قريش: لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد غزوكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً قط -عليه الصلاة والسلام- قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد).

فالزم هذه الخصلة -يا عبد الله- مهما كلفتك، وتخلق بهذه الخصلة الجميلة تسعد في الدارين، وتعرف نفسك -إذا كنت صادق الحديث- بأن ترى الرؤيا في الليل فتصبح وقد تحققت الرؤيا كما رأيتها، كما قال صلى الله عليه وسلم: (أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً)، أي: إذا كنت صادقاً في الحديث فرؤياك تتحقق، ولما كان نبينا محمد أصدق الناس لهجة كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الحالات التي يجوز فيها الكذب

من العلماء من ذكر بعض المباح من الكذب بناءً على حديث النبي عليه الصلاة والسلام؛ حيث رخص في الكذب في ثلاثة مواطن: الكذب في الحرب؛ إذ الحرب خدعة، والكذب للإصلاح بين المتخاصمين حيث تذهب إلى فلان فتقول له: فلان ما قال فيك إلا خيراً، وقال فيك كلاماً طيباً وتلتمس أي كلمة طيبة خرجت من في خصمه حتى تصلح بينهما، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً أو ينمي خيراً).

لكن هناك قوم يذهبون إلى الإفساد بين الناس بالكذب والخيانة، وقوم يفسدون الزوجات على أزواجهن غدراً وخيانة، فيكون هناك خلاف بين زوج وزوجه، ويدخل رجل مرتدياً ثوب الإصلاح وثوب الحريص المشفق على الزوجين، يريد أن يدخل -بزعمه في الظاهر- ليصلح بين زوجين، وفي باطنه يسعى سعياً حثيثاً لتدمير الأسرة حتى يتزوج هو تلك المرأة التي تطلق، فهذا ملعون، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ليس منا من خبب امرأة على زوجها)، فهو يسعى سعي الواشين المكَرَة المفسدين الظلمة للإصلاح في الظاهر وفي ثنايا كلامه يقول لزوجته: اصبري عليه فإن فيه كذا، ويطعن بما يريد تحت مقولة: (اصبري عليه)، ويسرد كل العيوب التي فيه، عياذاً بالله.

فأنى يبارك لمثل هذا المفسد؟! فالكذب شرع للإصلاح، ولم يشرع الكذب للتفريق بين الزوجين، ألا فليستبشر هذا بأنه من ورثة هاروت وماروت، ومن جند هاروت وماروت الذين يفرقون بين المرء وزوجه، فليبشر من كان على هذه الخصلة الذميمة للتفريق بين الأحبة، وللتفريق بين الزوجين، ولتشتيت الأسر بالطلاق، فليبشر هذا بأنه من سرايا إبليس الذين يبثهم لفتنة الناس، وأنه أقرب جندي إلى إبليس؛ فإن إبليس يضم من فرق بين الزوجين ويدنيه ويقول: أنت أنت، أي: أنت الرجل أنت الرجل.

فللإصلاح بين الزوجين أن يكذب الرجل على زوجته لإرضائها، لا بوعد وإخلاف وأكل حقوق وتضييع حقوق، وإنما يبالغ لها -مثلاً- في وصف حبه لها، وتبالغ له هي الأخرى في وصف حبها له، ويبالغ في وصف جمالها أمامها، وتبالغ في وصف رجولته أمامه، فالكلمة الطيبة صدقة تطمئن القلب وتخمد الشيطان، فالكذب يباح في ثلاثة مواطن: في الحرب، وبين الزوجين، وللإصلاح بين الناس.

وقد قال بعض أهل العلم: إن هناك صدقاً مذموماً، وفي الحقيقة لا نوافق من قال بأن هناك صدقاً مذموماً، فالصدق كله خير، وإن كان معنى كلامهم صحيح، كاغتياب الناس وإن كان فيهم ما تقول إن كنت صادقاً فيما تخبر عنه، كأن تذهب إلى شخص وتقول له: فلان قال فيك كذا وكذا وكذا وأنت صادق، لكنك مذموم تأكل النتن، وتأكل الجيف، وتأكل لحم أخيك ميتاً، وإن كنت صادقاً في نقلك، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغيبة فقال رجل: (فإن كان في أخي ما أقول يا رسول الله؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) [رواه مسلم ٢٥٨٩].

ألا فالزموا الصدق يا عباد الله، وادعوا ربكم أن يحشركم مع الصديقين، واستغفروه إنه كان غفاراً.

والحمد لله رب العالمين.

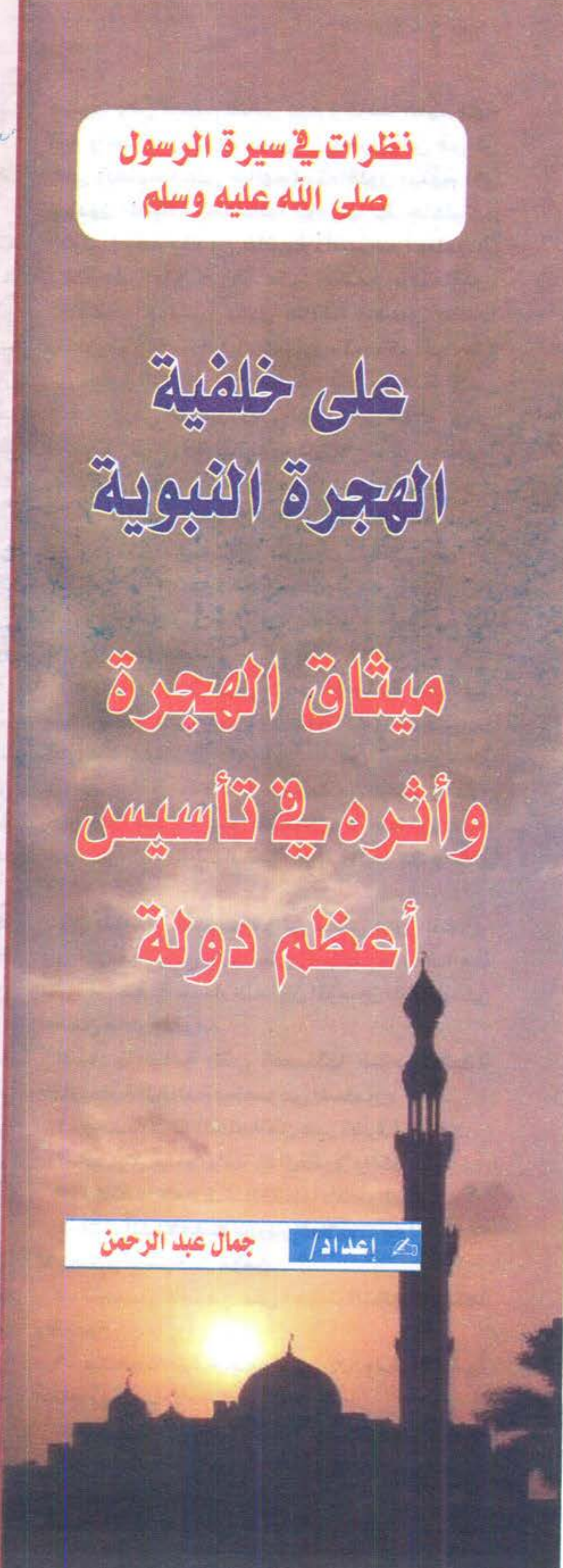

نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

على خلفية الهجرة النبوية

ميثاق الهجرة وأثره في تأسيس أعظم دولة

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد ..

لما كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه؛ هاجر ودخل المدينة دخول الواثق المعتز.. واستبشر بما آتاه الله فيها من فتح، وتوسم من وراء هذه الهجرة بشائر الخير والنصر. لأن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له. وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى يثرب!! فلم تكن الهجرة تخلصا فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاونا عاما على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن.

وفى عصرنا هذا، أعجب اليهود بأنفسهم، وعانق بعضهم بعضا مهنئا، لأنهم استطاعوا تأسيس وطن قومي لهم، بعد أن عاشوا - مشردين - قرونا طوالا. ونحن لا ننكر جهد اليهود في إقامة هذا الوطن، ولا حماسة المهاجرين من كل فج للعيش به، ومحاولة إحيائه وإعلائه. ولكن ما أبعد البون بين ما صنع اليهود اليوم - أو بتعبير أدق، ما صُنِع لليهود اليوم - وبين ما صنع الإسلام وبَنُوهُ لأنفسهم، يوم هاجروا إلى يثرب نجاة بدعوتهم، وإقامة لدولتهم.(فقه السيرة للغزالي بتصرف«ص: ١٤٠»).

أولا: بناء دولة الإسلام داخليا (فيما بين المسلمين):

«بعد أن استقر المقام بالمسلمين في المدينة النبوية، عاصمة الإسلام الأولى، ومأرزه، بدأ العمل الدءوب الشاق لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية، التي كانت فتية وفي طور الإنشاء والتكوين.

وكان رسول الله قد أخذ على عاتقه النهوض بهذه الدولة، فقام بعدة مبادرات سريعة لحل بعض المشكلات العارضة، وإن كانت في حد ذاتها تمهيدًا (لاستراتيجيات) بعيدة المدى.

فعلى النطاق الاجتماعي سن نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ذلك النظام الذي استطاع به أن يحل مشكلة المجتمع المسلم في المدينة والذي تكون من فئات مختلفة ومستويات متفاوتة حتى أصبح بفضل من الله

تبارك وتعالى مجتمعًا واحدًا مترابطًا انصهر تدريجيًا في بوتقة الإيمان فذاب فيها.

«وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا».

هذه المبادرة - وإن كانت حلاً وقتيًا أملته الظروف الحادثة - لكنها في نفس الوقت تمهيد (لاستراتيجية) أخوة الإسلام، تلك الأخوة التي لا تربط بالدم والعرق والأرض كما تعوَّد العرب في الجاهلية، بل بالدين والعقيدة »إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ«. وذلك هو شأن الإسلام الذي يعتمد أساسًا على عملية التدرج في تشريع الأحكام والمعاملات بين أفراده».(السرايا والبعوث النبوية)لبريك العمري ص٧٣.

إن هذا التآخي جعل المسلمين كرجل واحد يؤمن بعقيدة واحدة، ويعمل لهدف واحد بإمرة قائد واحد، ذلك لأنهم يعبدون ربًا واحدًا.

«وبعد المؤاخاة كانت الصحيفة، وهي الدستور الذي وضعه النبي لتنظيم الحياة في المدينة، وتحديد العلاقات بينها وبين جيرانها، ... وأصبحت الوثيقة دستورا للجماعة الجديدة، ولا يكاد يعرف من قبل دولة قامت منذ إنشائها على أساس دستور مكتوب، غير هذه الدولة الإسلامية الجديدة، فإنما تقام الدول أولا، ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور.

وأدت هذه السياسة الحكيمة إلى قيام جماعة متآلفة متحابة، وإلى ازدياد عدد سكان المدينة حتى زاد عدد سكانها عما كانوا عليه أكثر من خمس مرات، بعد أن أقبل الناس على سكناها؛ طلبا للأمن والعدل في ظل الإسلام، والتماسًا لبركة مجاورة النبي واستجابة لما دعا إليه القرآن من الهجرة إلى الله وإلى رسوله. دروس وعبر من الهجرة النبوية لعلي بن نايف الشحود باختصار(ص: ٤٦)

نص الوثيقة الخاص بالمسلمين

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسحاق: كَتَبَ رَسُولُ اللهِ كتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَادَعَ فِيهِ الْيَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «هَذَا كِتَابٌ مِنْ محمد النبي الأمي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ إنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ (على حالهم) يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ (أي يؤدون الديات كما كانوا يؤدونها في جاهليتهم الأولى) وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ (أسيرهم) بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ، وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ ، يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى. وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ ذَكَرَ كُلَّ بَطْنٍ مِنْ بُطُونِ الْأَنْصَارِ وَأَهْلَ كُلِّ دَارٍ بَنِي سَاعِدَةَ، وَبَنِي جُشَمٍ، وَبَنِي النَّجَّارِ، وَبَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَبَنِي النَّبِيتِ، إلَى أَنْ قَالَ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ وَعَقْلٍ (والمُفْرَح: المثقل بالدين كثير العيال)، وَلَا يُحَالِفُ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوِ ابتغى دسيسة ظُلْمٍ أَوْ إثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعِهِمْ وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أحدهمْ».

ثم يقول : وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يُنْصَرُ كَافِرٌ عَلَى مُؤْمِنٍ، وَإِنَّ ذِمَّةَ اللهِ وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ،(أيْ إذَا أجارَ واحدٌ منَ المُسْلمِين- حُرٌّ أوْ عبْدٌ أوْ أمَة- واحدًا أوْ جَماعَةً مَن الكفَّارِ وأمَنَهُم جَازَ ذَلكَ عَلَى جَميع المُسْلمين، لا يُنْقَضُ عَلَيْه جِوارُه وأمانُه).[النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣١٣ .

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ.. وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ (يتساوى) بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ.

المبادئ العامة التي تضمنتها هذه الوثيقة التاريخية الخالدة بخصوص المسلمين:

١- وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها.

٢- تساوي أبناء الأمة في الحقوق والكرامة.

٣- تكاتف الأمة ضد الظلم والإثم والعدوان.

٤- اشتراك الأمة في تقرير العلاقات مع أعدائها؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن.

٥- تأسيس المجتمع على أحدث النظم وأهداها وأقومها.

٦- مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام، ووجوب الامتناع عن نصرتهم.

٧- حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما

متعاونا، والامتناع عن ظلمهم والبغي عليهم. دروس وعبر من الهجرة النبوية لعلي بن نايف الشحود(ص: ٧٥).

شرح الوثيقة التي تخص المسلمين:

تضمنت الصحيفة مبادئ عامة ، درجت دساتير الدول الحديثة على وضعها فيها . وفي طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة، فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعاً مهاجريهم وأنصارهم ومن تبعهم ممن لحق بهم وجاهد معهم، أمّة واحدة من دون الناس، وهذا شيء جديد كل الجدّه في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب ، إذ نقل الرسول قومه من شعار القبلية ، والتبعية لها ، إلى شعار الأمة ، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد ، فلقد قالت الصحيفة عنهم إنهم «أمة واحدة، فقد جاء به القرآن الكريم ، قال تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»(السيرة النبوية - دروس وعبر للصلابي(٥/ ٦١).

«لقد انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين وأصبحوا أمة واحدة». قيادة الرسول لأحمد راتب ص٩٣.

ثم إن النبي   وضع للمسلمين مبدأ مخالفة غيرهم والتميز عليهم فقال: (من تشبه بقوم فهو منهم)، وقال: (لاتشبهوا باليهود)، والأحاديث في ذلك كثيرة وهي تفيد معنى تميز المسلمين واستعلائهم على غيرهم، ولاشك أن التشبه والمحاكاة للآخرين يتنافى مع الاعتزاز بالذات والاستعلاء على الكفار، ولكن هذا التميز والاستعلاء لايشكل حاجزاً بين المسلمين وغيرهم، فكيان الجماعة الإسلامية مفتوح وقابل للتوسع ويستطيع الانضمام إليه من يؤمن بعقيدته. السيرة النبوية - دروس وعبر للصلابي٥/٦٣.

ومن البنود الهامة:

أنَّ (كل فريق من المؤمنين على ربعتهم -أي الحال التي جاء الإسلام وهم عليها- يتعاقلون بينهم،(أي يدفعون الديات لأهل القتيل)، وهم يفدون عانيهم -أسيرهم- بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وان المؤمنين لا يتركون مفرحا -المثقل بالديون- بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل - دية-). وهذا البند يقرر مبدأ التكافل الاجتماعي بين المؤمنين بأن يعينوا الضعفاء ويساعدوا المحتاجين.

وَ(أن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم). وهذا البند يحتم على المؤمنين نصرة المظلومين والأخذ على يد البغاة والمفسدين، ومعنى قوله (دسيعة ظلم) أي طلب عطية من دون حق، وجاء تخصيص المتقين في هذا البند لأنهم أحرص الناس على تنفيذ الشريعة من غيرهم.

وكذلك: (لا يَقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا يَنصر كافراً على مؤمن). وفي هذا البند تأكيد على الترابط بين المؤمنين وموالاة بعضهم لبعض، وفيه دليل على أن دم الكافر لا يكافئ دم المؤمن. دروس وعبر من الهجرة النبوية لعلي بن نايف الشحود(ص: ١٤٣).

وفي المساواة بين المسلمين: جاءت نصوص صريحة في الصحيفة حولها، منها: (أن ذمَّة الله واحدة) وأن المسلمين (يجير عليهم أدناهم) وأن (بعضهم موالي بعض دون الناس)،أي: يتناصرون في السَراء والضَراء، وأن (المؤمنين يبئ (يتساوى) بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله).

وقد سبق الإسلام كل الأمم بتشريعاتها وقوانينها في إرساء وترسيخ مبدأ المساواة.

قال تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». الحجرات/١٣.

وقال رسول الله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ؟» قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ . مسند أحمد (٤٧/ ٤٧٨).

هذا المبدأ كان من أهم المبادئ التي جذبت الكثير من الشعوب قديماً نحو الإسلام، فكان هذا المبدأ مصدراً من مصادر القوة للمسلمين الأولين.

«وليس المقصود بالمساواة هنا (المساواة العامة) بين الناس جميعاً في كافة أمور الحياة، كما ينادي بعض المخدوعين ويرون ذلك عدلاً، فالاختلاف في المواهب والقدرات، والتفاوت في الدرجات غاية

من غايات الخلق، ولكن المقصود المساواة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، مساواة مقيدة بأحوال فيها التساوي وليست مطلقة في جميع الأحوال، فالمساواة تأتي في معاملة الناس أمام الشرع والقضاء وكافة الأحكام الإسلامية، والحقوق العامة دون تفريق بسبب الأصل، أو الجنس، أو اللون، أو الثروة أو الجاه، أو غيرها.

ولذلك قال أبو بكر لما ولي الخلافة:

« أيها الناس؛ فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ». تاريخ الخلفاء (ص: ٦٣).

خاتمة: إن كلمة الدستور هي أقرب إطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث على هذه الوثيقة، وهي إذا كانت بمثابة إعلان دستور فإنه شمل جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث يعنى بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل و الخارج : أي فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة مع بعض «وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين . وحسبنا هذا الدستور الذي وضعه رسول الله بوحي من ربه واستكتبه أصحابه، ثم جعله الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود - حسبنا ذلك دليلاً على أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة» وأن الدولة الإسلامية قامت - منذ بزوغ فجرها - على أتم ما قد تحتاج إليه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية « وظاهر أن هذه المقومات » أساس لابد منه لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في المجتمع . إذ هي في مجموعها إنما تقوم على فكرة وحدة الأمة الإسلامية وما يتعلق بها من البنود التنظيمية الأخرى، ولا يمكن أن نجد أرضية يستقر عليها حكم الإسلام وتشريعه ما لم يقم هذا التنظيم الدستوري الذي أوجده رسول الله على أنه في الوقت نفسه جزء من الأحكام الشرعية نفسها . ومن هنا تسقط دعاوى أولئك الذين يغمضون أبصارهم وبصائرهم عن هذه الحقيقة البديهية، ثم يزعمون أن الإسلام ليس إلا ديناً قوامه ما بين الإنسان وربه، وليس له من مقومات الدولة والتنظيم الدستوري شيء . دروس وعبر من الهجرة النبوية لعلي بن نايف الشحود (ص: ٥)

شهادة غير المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم:

أعظم العظماء مؤسس أعظم دولة:

يقول الكاتب النصراني اللبناني نصري سهلب، كلامًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يُلهب، في كتابه «في خُطى محمد» ص٤٣: «في مكة.. أبصر النور طفلٌ لم يمر بباله أمة، ساعة ولادته، أنه سيكون أحد أعظم الرجال في العالم بل في التاريخ، ولربما أعظمهم إطلاقًا».

ويقول ص١٩٦: «هنا عظمة محمد صلى الله عليه وسلم، لقد استطاع خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن، أن يحدث ثورة خلقية وروحية واجتماعية، لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل ذلك السرعة المذاهلة».

ويقول ص٢٧٣: «هذا الرجل الذي ما عرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستقرار، استطاع وسط ذلك الخضم الهائج أن يرسي قواعد دولة، وأن يشرِّع قوانين، ويسن أنظمة، ويجود بالتفاسير والاجتهادات، ولم ينس أنه أب وجدٌ لأولاد وأحفاد فلم يحرمهم عطفه وحنانه، فكان بشخصيته الفذة، الغنية بالقيم والمعطيات والمؤهلات، المتعددة الأبعاد والجوانب الفريدة، بما أسبغ الله عليها من نعم وصفات، وبما حباها من إمكانات، كان بذلك كله عالمًا قائمًا بنفسه».

وقال ص٤٠٩ مبيّنًا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلاً يقول ويعمل ويحقق: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً وحسب، يهدي الناس إلى الإيمان، إنما كان زعيمًا وقائد شعب، فعزم على أن يجعل من ذلك الشعب خير أمة أخرجت للناس، وكان له ما أراد».

ثم وجَّه نصيحة غالية لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم ص٣٩٦ فقال: «تراثك يا ابن عبد الله ينبغي أن يُحيا، لا في النفوس والقلوب فحسب، بل في واقع الحياة، في ما يعاني البشر من أزمات وما يعترضهم من عقبات، تراثك مدرسة يُلقى على منابرها كل يوم عظة ودروس، كل سؤال له عندك جواب، كل مشكلة مهما استعصت وتعقدت، نجد لها في آثارك حلاً». (المصدر السابق ص٢٨٦).

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة
(١٧١)

قصة الشجرة النبوية والشيعة

إعداد/ **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ ويحتج بها الشيعة خاصة، وأن هذه القصة في مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة».

ثانيا: التخريج:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به قصة هذه الشجرة الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرك» (١٦٠/٣) قال: حدثنا أبو بكر محمد بن حيويه بن المؤمل الهمداني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، أخبرنا عبد الرزاق بن همام، حدثني أبي، حدثني أبي عن ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال: خذوا عني قبل أن تُشاب الأحاديث بالأباطيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا الشجرة.. القصة.

قلت: لا يظن طالب هذا الفن أنني كررت لفظة: «حدثني أبي»، ولكن عبد الرزاق بن الهمام يحدث عن أبيه عن جده كما بيّن الحاكم نفسه فيما سنذكره.

ثالثا: التحقيق:

١- قال الحاكم في «المستدرك» (٣٠/١٦٠): هذا متن شاذ، وإن كان كذلك فإن إسحاق الدبري صدوق، وعبد الرزاق وأبوه وجده ثقات، وميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع منه». اهـ.

٢- قلت: لا بد لطالب هذا الفن أن يقف على حقيقة مصطلح الشاذ عند الحاكم حتى يتبين له ما قاله الحاكم.

٣- قال الحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث» (ص١١٩) النوع (٢٨): «فأمَّا الشاذ

فإنه حديث يتفرد به ثقة من الثقات، وليس للحديث أصل متابع لذلك الثقة». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح للشاذ عند الحاكم بيَّن الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» أن فيه إشكالاً، نقل هذا الإشكال الحافظ ابن كثير في «اختصاره علوم الحديث» المسمى شهرة «الباعث الحثيث» في النوع (١٣)، وأقرَّ هذا الإشكال ثم بيّن الصواب فقال:

النوع الثالث عشر: الشاذ:

أ- قال الشافعي: «وهو أن يروي الثقة حديثا يخالف ما روى الناس، وليس من ذلك أن يروي ما لم يرو غيره».

ب- وقال الحاكم النيسابوري: «هو الذي ينفرد به الثقة، وليس له متابع».

ج- قال ابن الصلاح: «ويشكل على هذا: حديث: «الأعمال بالنيات»، فإنه تفرد به عمر، وعنه علقمة، وعنه محمد بن إبراهيم التيمي، وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري».

د- قال الحافظ ابن كثير: وكذلك حديث عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الولاء وعن هبته.

وتفرد مالك عن الزهري عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل وعلى رأسه المغفر.

وكل هذه الأحاديث الثلاثة في الصحيحين من هذه الوجوه المذكورة فقط. اهـ.

هـ- ثم قال الحافظ ابن كثير: «فإذن الذي قاله الشافعي أولاً هو الصواب: أنه إذا روى الثقة شيئا خالفه فيه الناس هو الشاذ، يعني المردود، وليس من ذلك أن يروي الثقة ما لم يرو غيره، بل هو المقبول، إذا كان عدلاً ضابطًا حافظًا والمراد بالناس من هو أوثق منه.

فإن هذا لو رُدَّ لرُدَّت أحاديث كثيرة من هذا النمط، وتعطلت كثير من المسائل عن الدلائل». اهـ.

قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٧/٢): وبما تقرر: علم أنَّ الشافعي قيّد التفرد بقيدين: الثقة، والمخالفة، وأما الحاكم فاقتصر على قيد الثقة وحده. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن قول الحاكم في «المستدرك» (١/١٦٠): «هذا متن شاذ، وإن كان كذلك فإن إسحاق الدبري صدوق، وعبد الرزاق وأبوه وجده ثقات، وميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه». اهـ.

قلت: قول الحاكم هذا يتبين من مصطلحه للشاذ أن الخبر الذي جاءت به القصة «تفرد به الثقة» وليس له مخالفة.

فكلام الحاكم يجعل الخبر ليس بشاذ عند علماء الصنعة الحديثية بل يجعله صحيحًا كحديث: «الأعمال بالنيات»، ولكن كلام الحاكم في رجال إسناده فيه نظر.

رابعًا: رد الإمام الذهبي على الحاكم:

١- قال الإمام الذهبي في «التلخيص» (١/١٦٠- مستدرك) في الرد على قول الحاكم: «هذا متن شاذ، واسحاق صدوق، وعبد الرزاق وأبوه وجده ثقات، وميناء سمع النبي صلى الله عليه وسلم». اهـ.

قال الإمام الذهبي: «ما قال هذا بَشَر سوى الحاكم، وإنما ذا تابعي ساقط، وقال أبو حاتم: كذاب يكذب، وقال ابن معين: ليس بثقة، ولكن أظن أن هذا وُضع على الدبري؛ فإن ابن حيويه: متهم بالكذب، أفما استحييت أيها المؤلف أن تورد هذه الأخلوقات من أقوال الطرقية فيما يُستدرك على الشيخين». اهـ.

٢- نقل هذا الإمام السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٤٠٥/١، ٤٠٦).

٣- قلت: وإن تعجب فعجب أن الإمام الحافظ أبا عبد الله الحاكم النيسابوري- عفا الله عنا وعنه- جعل ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه، وهذا القول من الحاكم يجعل ميناء صحابيًا، والصحابة كلهم عدول، بل في أعلى مراتب التعديل هم رضي الله عنهم وفي أعلى درجات التعديل يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٤/١):

فأما المراتب: فأولها الصحابة، فأصرح بذلك لشرفهم. الثانية: من أكد مدحه، إمّا بأفعل: كأوثق الناس أو بتكرر الصفة لفظًا: كثقة ثقة، أو معنى: كثقة حافظ...». اهـ.

قلت: وجعل مينا هذا التابعي الساقط الكذاب كما بين ذلك الإمام الحافظ الذهبي صحابيًا، هو ضياع للعلة الأساسية؛ حيث إن هذا الخبر أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» من غير طريق ابن حيويه عن إسحاق الدبري.

فقد أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤٥٩/٦) (١٩٣٩/٣١٨) قال: أخبرنا عمر بن سنان، حدثنا الحسن بن علي أبو عبد الغني الأزدي، حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا به.

قلت: لو أخذنا بقول الحاكم أن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه لصار هذا السند من رواية صحابي عن صحابي، ولكن لو أخذنا برد الإمام الذهبي على الحاكم حيث قال: «ما قال هذا بشر سوى الحاكم وإنما ذا تابعي ساقط». اهـ.

قلت: وهذا الحكم من الإمام الحافظ الذهبي على مينا مولى عبد الرحمن بن عوف هو الحق الذي لا مرية فيه، وهذا هو حكم الحافظ ابن حجر في مينا في كتابه «التقريب»؛ حيث بيَّن منهجه في حكمه على الرجال في مقدمته؛ حيث قال: «إني أحكم على كل شخص منهم بحكم يشمل أصح ما قيل فيه، وأعدل ما وُصف به بألخص عبارة، وأخْلص إشارة». اهـ.

فقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٩٣/٢): «مينا بكسر الميم وسكون التحتانية ثم نون، ابن أبي مينا الخزاز مولى عبد الرحمن بن عوف، متروك ورُمي بالرفض، وكذَّبه أبو حاتم من الثانية، ووهم الحاكم فجعل له صحبة». اهـ.

قلت: والثانية كما هو مبيَّن في منهج الحافظ ابن حجر في «التقريب» هي طبقة كبار التابعين فهو تابعي ساقط كذاب كما بين ذلك آنفًا الحافظ الذهبي، وحكم عليه الحافظ ابن حجر بأصح ما قيل فيه وأعدل ما وصف به.

وعلى هذا يكون الخبر الذي أخرجه الحاكم مرسل تابعي كذاب، وهذا الخبر الذي أخرجه ابن عدي بنفس الطريق «عبد الرزاق عن أبيه عن مينا متصل، ولكن علته أيضًا مينا التابعي الكذاب، فمهما قال الحاكم فمحور ارتكاز العلة هو مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، وهذا بيان أئمة الجرح والتعديل فيه:

١- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٨٢):

«ميناء: ليس بثقة، حدَّث عبد الرزاق، عن أبيه عنه».

٢- ذكره الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٥٩/٦) (١٩٣٩/٣١٨).

أ- قال: مينا بن أبي مينا مولى عبد الرحمن بن عوف.

ثم أخرج عن يحيى بن معين قوله في مينا أستحيي أن أذكره، ولكن أراني أمام الأمانة العلمية في رجل تكلم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبهذا يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر بل من أكبر الكبائر تحتم عليَّ أن أذكر قول الإمام يحيى بن معين فيه، والذي أخرجه ابن عدي في «الكامل» حيث قال: «سمعت محمد بن نوح بمصر يقول: سمعت عباس الدورقي يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: ومَن مينا الماصُّ بظر أمه حتى يتكلم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟».

ب- وقال: سمعت ابن حماد وابن أبي بكر قالا: حدثنا عباس عن يحيى قال: حدث عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف ومينا ليس بثقة». اهـ.

جـ- وقال: سمعت ابن حماد قال السعدي: مينا الخزاز أنكر الأئمة حديثه لسوء مذهبه. اهـ.

هـ- ثم ختم الحافظ ابن عدي ترجمته بعد أن ذكر أحاديثه فقال: «ومينا هذا أظن أن عامة ما يرويه هو ما ذكرته ويبين على حديثه أنه يغلو في التشيع». اهـ.

٣- قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي في كتابه «الضعفاء الكبير» (١٨٤٩/٢٥٣/٤): «روى عنه همام بن نافع أحاديث مناكير لا يُتابع منها على شيء».

٤- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (١٨١١/٣٩٥/٨): «ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف روى عن عثمان بن عفان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة، روى عنه همام بن نافع والد عبد الرزاق، سألت أبي عنه فقال: منكر الحديث روى أحاديث في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مناكير لا يعبأ بحديثه كان يكذب». اهـ.

٥- قال ابن حبان في «المجروحين» (٢٢/٣): «مينا مولى عبد الرحمن بن عوف روى عنه عبد الرزاق عن أبيه عنه منكر الحديث». اهـ.

٦- قال الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٥٠٢): «مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، عن ابن مسعود». اهـ.

قلت: يظن من لا علم له بمنهج الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» أن الدارقطني سكت عن مينا حيث ذكره فقط من غير وصف يجرح ولكن بين الإمام الحافظ البرقاني منهج الدارقطني في مقدمة كتابه هذا فقال:

«طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين

بن حَمَكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني- عفا الله عني وعنهما- في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن مجرد إثبات اسم مينا في كتابه «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني هو إقرار من الأئمة الثلاثة البرقاني وابن حمكان والدارقطني على ترك مينا مولى عبد الرحمن بن عوف.

٧- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٩٨١/٢٣٧/٤): «مينا بن أبي مينا الذي روى عن عثمان وابن مسعود، ما حدَّث عنه سوى همام الصنعاني والد عبد الرزاق قال أبو حاتم يكذب...».

قلت: كما بينا في الأصل آنفًا، ثم نقل بقية أقوال أئمة الجرح والتعديل والتي ذكرناها من أصولها وأقرها الإمام الذهبي.

٨- قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣٥٤/١٠): «ميناء بن أبي ميناء الزهري الخزار مولى عبد الرحمن بن عوف روى عن مولاه وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة، روى عنه همام والد عبد الرزاق». اهـ.

ثم نقل أقوال أئمة الجرح فيه والتي ذكرناها أيضًا من أصولها، ثم أقرها الحافظ ابن حجر، ثم نقل قول الإمام الحافظ ابن عدي: «ويبين على حديثه أنه يغلو في التشيع».

ثم ختم ترجمته فقال: «وأغرب الحاكم فزعم في المستدرك أنه له صحبة وسماعًا». اهـ.

ولذلك قال الحافظ في «التقريب» (٢٩٣/٢): «مينا بن أبي مينا الخزاز، مولى عبد الرحمن بن عوف، متروك، ورمي بالرفض، وكذَّبه أبو حاتم من الثانية، ووهم الحاكم فجعل له صحبة». اهـ.

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه من أقوال أئمة الجرح:

١- أن مينا بن أبي مينا الخزاز مولى عبد الرحمن بن عوف تابعي ساقط منكر الحديث متروك ليس بثقة كذاب لا يُعبأ بحديثه كان يكذب وبتطبيق علم أصول رواية الحديث على الراوي مينا يتبين أن هذا الخبر موضوع، فقد قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

٢- قول أئمة الجرح والتعديل في مينا: «أنه يغلو في التشيع، ورمي بالرفض، وأنكر الأئمة حديثه لسوء مذهبه»، كما بينا ذلك آنفًا في التحقيق يتبين منه أسباب وضع مينا لهذا الخبر الذي جاءت به قصة الشجرة النبوية وربطها بالشيعة.

ولقد بين ذلك الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٨/١)، وهو بين دواعي الوضع وأصناف الوضاعين قال: «القسم الثاني: قوم كانوا يقصدون وضع الحديث نصرة لمذهبهم». اهـ.

قلت: ولقد بين ذلك السخاوي في «فتح المغيث» (٣٠٠/١) ثم ذكر الرافضة ثم قال: «الرافضة فرق متنوعة من الشيعة وانتسبوا كذلك لأنهم بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى، وقال: كانا وزيري جدي صلى الله عليه وسلم فتركوه ورفضوه». اهـ.

قلت: وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٣) قال: «وأما لفظ الرافضة: فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم، فقال رفضتموني، رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي، والزيدية يتولون زيدًا وينسبون إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى: زيدية ورافضة إمامية». اهـ.

قلت: ثم بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٤٣٥/٤) حيث قال:

أ- فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف، ولهذا قيل للإمام أحمد: من الرافضي؟ قال: الذي يسب أبا بكر وعمر، وبهذا سميت الرافضة، فإنهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر لبغضهم لهما، فالمبغض لهما هو الرافضي.

ب- وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في عليّ بدعوى الإمامة والنص عليها، وادعى العصمة له. اهـ.

جـ- قلت: ثم ذكر الأثر السيئ لهم على الحديث في «الفتاوى» (٢٨٩/٦) فقال: «الرافضة كذبوا أحاديث كثيرة جدًّا راج كثير منها على أهل السنة، وروى خلق كثير منها أحاديث حتى عسر تمييز الصدق من الكذب على أكثر الناس، إلا على أئمة الحديث العارفين بعلله متنًا وسندًا». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

قرائن اللغة على حمل صفات (الفوقية والقرب والمعية) على ظاهرها دون المجاز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد يُتوهم أن ما ذكرنا هنا من صفات (الفوقية والقرب والمعية) هو من قبيل المتناقضات، والحق أن الأمر ليس كذلك، ففوقيته تعالى إنما هي فوقية ذات وقهر، ومعيته إنما هي معية علم وإحاطة وكلاءة، وكذا قربه تعالى إنما هو قرب ملائكة وقرب إجابة من داعيه وإثابة وإحسان من مطيعه..

وذلك ما جاءت به نصوص الوحي ودلت عليه سياقاته، وهو معتقد أهل السنة والجماعة وعليه إجماعهم.. فـ "لقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية من نحو قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩) (النحل/ ٥٠) وقوله: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (الأنعام/ ١٨) - وكذا هي نصوص السنة - لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له، فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به، كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه، والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه" على حد ما جاء في عبارة الإمام الجويني في رسالته عن الاستواء والفوقية ١/ ١٨٧ من المجموعة المنيرية.. كما دلت نصوص القرآن والسنة علي أن المراد بمعيته تعالى: العلم بأحوال عباده واطلاعه علي شئونهم مع دلالة المعية الخاصة - فضلاً عن ذلك - علي كلاءته وحفظه ونصره لأنبيائه وأوليائه، والعرب الذين نزل الكتاب وجاءت السنة بلغتهم يعلمون ذلك ولا يشتبه عليهم، ولهذا لم يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن معاني هذه الآيات الدالة على ذلك لظهورها لهم.

ولأن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله عز وجل في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، فقد كان إجماع الصحابة والتابعين على أنه تعالى على العرش وعلمه في كل مكان جمعاً بين الأدلة، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج به.. وإنما كان إجماع علماء السلف منعقد على حمل معيته سبحانه علي العلم، كون ذلك من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، ولا شك أن هذا النمط هو أعلى وجوه

✍ إعداد/ **د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

التفسير وأصوبها، لأن كلام الله تعالى يفسر بعضه بعضاً ويُصدِّق بعضه بعضاً، فهو لا يتعارض ولا يتناقض ولا يتصادم، فما جاء مثلاً في آية المجادلة: (إلا هو معهم أينما كانوا)، قد صُدِّر بقوله تعالي: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)، فابتدأها سبحانه بالعلم، فهو يعلم ما في السموات وما في الأرض، ويعلم ما يكون بين المتناجين قَلُّوا أم كثروا، كما أن آخر الآية نفسها ليدل علي ذلك، وفيها يقول جل وعلا: (ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة/ ٧)، فالله تعالى بائن من خلقه وهو معنا بعلمه، لكون ذاته فوق عرشه بلا حد ولا كيف وعرشه فوق سماواته.. ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالي: (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد/ ٤)، فقد فسرها سفيان الثوري بأن ذلك علمه، كما رَوى ذلك عنه البخاري في خلق أفعال العباد، والآجري في الشريعة وابن بطة في الإبانة الكبرى وابن جرير في تفسير الآية وغيرهم.. وقال أبو عمرو الطلمنكي - كما في شرح حديث النزول ص ١٤٤ -: "وأجمعوا على أن لله عرشاً وعلى أنه مستو على عرشه، وعلمه وقدرته وتدبيره، بكل خلقه.. فأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) (الحديد/ ٤) ونحو ذلك في القرآن، أن ذلك علمه".. وسيأتي ذكر المزيد من نصوص أئمة السلف على ذلك.

وكذلك الأمر في تفسير القرب بقرب الملائكة في

آيتي (ق) والواقعة، ليس هو الآخر صرفاً للكلام عن ظاهره، وبالتالي لا يعد تأويلاً على نحو ما يزعم البعض، فإن القرب في قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق/ ١٦)، مقيد بما يدل على ذلك، إذ قال بعدها: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) (ق/١٧)، وفيه دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين.. وكذا قوله: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ) (الواقعة/ ٨٥)، فان القرب مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالي: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) (الأنعام/ ٦١)، أما إضافة القرب إلى الله، فلأن قربهم، بأمره، وهم جنوده ورسله، ومثاله: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة/ ١٨)، "والمراد به قراءة جبريل، وأضافه سبحانه لنفسه، لأن جبريل يقرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله، ومثاله أيضاً: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) (هود/ ٧٤)، وابراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله بأمر منه، وكذا قوله: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) (الأنفال/ ١٧) فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه إذ كان فعلهم بأمره على ما هو مفاد من مختصر الصواعق ص ٤٩٤ ومجموع الفتاوى ٥/ ١٢٨، ٢٣٢ والقواعد المثلى ص ٦٥..) (وينبغي للعاقل أن يعرف أن المسائل الاعتقادية - التي هي أعظم مسائل الدين - لم يكن السلف جاهلين بها ولا معرضين عنها، بل من لم يعرف ما قالوه هو الجاهل بالحق وبأقوال السلف.

أدلة الشرع وأوجه دلالتها على إثبات صفة (الفوقية) وانتفاء تأويلات الأشاعرة:

على أن ظواهر الشرع كلها تقضي بإثبات الفوقية والعلو لذاته جل وعلا، من ذلك ومن غير ما ذكرنا: قوله تعالى: « يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ » (السجدة/ ٥)، وقوله: «ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ » (الملك/١٦)، وقوله: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » (الحاقة/ ١٧)، وقوله: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ »(المعارج/ ٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأنه من السماء نزلت الكتب، واليها كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قرب من سدرة المنتهى، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك.. والحق أن القرائن الشرعية على فوقيته تعالى تجل عن الحصر، من ذلك:

١-أسماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معاني العلو له تبارك وتعالى: كاسمه (الأعلى) واسمه (العليّ) واسمه (المتعالي) واسمه (القاهر) وغيرها.. قال تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)(الأعلى/ ١)، ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن ماجة وحسنه السيوطي في الدر المنثور: (اجعلوها في سجودكم)، وقال تعالى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » (البقرة/ ٢٥٥)، وقال: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا » (النساء/ ٣٤)، وقال: « عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ » (الرعد/ ٩)، وقال: « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » (الحج/ ٦٢)، وقال: «حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » (سبأ/ ٢٣)، وقال:«إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ »(الشورى/ ٥١).. وكلها أسماء تدل على ثبوت جميع معاني العلو له تبارك وتعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

٢-النصوص المصرحة بفوقيته وبأنه تعالى في السماء: ومن ذلك ومن غير ما سبق، ما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري من قوله صلى الله عليه وسلم عندما اعترض معترض على قسمته في عطية جاءته من اليمن: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء).. وقوله لما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات) وهو أيضاً في الصحيحين.. وما جاء فيهما كذلك عن أنس قال: كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي وتقول: (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات).. وما أخرجاه من حديث أبي هريرة من قوله عليه السلام: (لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي

غلبت غضبي).. وما أخرجه الدارمي عن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر، فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها).. وكذا ما جاء في حديث أبي الدرداء من قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم: (من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ).. وما ورد في حديث عبد الله بن عمرو من قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أبو داود وصححه الترمذي: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).. وكذا ما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها).. إلخ.

٣-النصوص المصرحة بذكر عرشه وأنه جل جلاله فوقه بلا حد ولا كيف، والمصرحة كذلك بإشارة النبي عليه السلام في خطبته في حجة الوداع بإصبعه وقوله بعد رفع رأسه بين الفينة والأخرى: (اللهم هل بلغت اللهم فاشهد).. وبما كان من كليم الله موسى عليه السلام عندما طلب من ربه أن يراه وقول الله له: «لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا» (الأعراف/ ١٤٣).. وما كان من فرعون في تكذيبه موسى في أن رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، وما كان بعد من قوله لرئيس وزرائه هامان: «وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ» (غافر/ ٣٦، ٣٧).

٤-النصوص المصرحة باختصاص بعض الأشياء المعلوم أنها في السماء بأنها عنده: كما في قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ» (الأعراف/ ٢٠٦)، وقوله: «وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ» (الأنبياء/ ١٩)، وقوله: «فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ» (فصلت/ ٣٨)، وقوله: «وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ» (آل عمران/ ١٦٩)، وقوله: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ» (التحريم/ ١١).. وحديث أبي هريرة الذي فيه كما في الصحيحين: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي)، وما أخرجاه عنه من قوله صلى الله عليه وسلم: (احتج آدم وموسى عند ربهما عز وجل، فحج آدم موسى.. الحديث)، وما أورده مسلم عنه من حديث طويل، وفيه: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)، وما أورده عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وذكر الحديث إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال: (ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله وكيف تصفُّ الملائكة عند ربها؟ قال: (يتمون الصفوف الأولى ويتراصُّون في الصف).

٥-النصوص المصرحة بالرفع والصعود والعروج إليه: من ذلك ما جاء عن رفع عيسى إلى الله تعالى في نحو قوله عز من قائل: «إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» (آل عمران/ ٥٥)، «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا» (النساء/ ١٥٧، ١٥٨)، وما أكثر الأحاديث التي أخبرت عن نزوله عليه السلام إلى الأرض حَكما عدلاً في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.. ومن ذلك ما ورد بشأن صعود الأعمال إليه تعالى على ما في قوله سبحانه: «إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ» (فاطر/ ١٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب.. الحديث)، وقوله فيما أخرجاه من حديث ابن عمر، وفيه: (اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله كأنها شرارة)، وقوله فيما أخرجه مسلم من حديث أبي

موسى الأشعري، وفيه: (يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل)، إلى غير ذلك مما لا يحصى.. ومن ذلك أيضاً ما ورد بشأن صعود أرواح المؤمنين إلى الله تعالى وحجب غيرها.. وما جاء منها مصرحة بعروج الملائكة والروح إلى الله كقوله: «مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ» (المعارج/ ٣، ٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة: (ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم.. الحديث..) ويدل عليها أيضاً النصوص المصرحة باستوائه تعالى على عرشه وبنزوله سبحانه من عليائه، وسيأتي الكلام عن ذلك مفصلاً في حينه.

تفنيد شبهات القائلين بنفي الفوقية من متأولة الأشاعرة ومعطليهم:

ومن المناسب هنا أن ننوه إلى أنه لا مكان (مع كل هذه النصوص التي سبق ذكرها)، لما جنح إليه الحلولية ومتكلمة الأشاعرة الذين تأثروا بالجهمية والمعتزلة إلى حد كبير والذين لا يزال البلاء بما فاهوا به يحيق بالأمة ويعصف بوحدتها إلى يوم الناس هذا.. فمن ذاهب منهم إلى القول بفناء الخالق في المخلوق كفرق الصوفية، ومن ذاهب بالفوقية إلى أنها بمعنى "فوقية القهر" وأن المراد بالعلو: "علو القدرة" وأن المراد بقوله (ءأمنتم من في السماء): "الملائكة" كما فعل الرازي في كتابه (أساس التأسيس) ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٤ وقد كان ذلك منه بالطبع قبل تراجعه.. ومن مؤول للآية وأنها على معنى: "ملكه أو سلطانه أو ملك موكل بالعذاب" كما فعل الإيجي ومن تأثر به.. ومن جانح في معنى الفوقية إلى أن "المراد بها: التعالي في العظمة" كما فعل الباجوري في (تحفة المريد) ص ١٣٠.. ومن معتقد بأن القائلين بها هم المشبهة كما ذكر ذلك الآمدي في (الأبكار) ١/ ٤٦٨.. بل ومن قائل بكفر من يعتقد بظاهر النصوص الصريحة بفوقيته تعالى - على كثرتها كما رأينا - ومن مدع أنه فاسق مبتدع، وقد ساق هذا الخلاف اللالي في شرحه على كتاب (أم البراهين) والدسوقي في حاشيته ص ١٠٩ ظناً منهما أن من قال بظاهرها قائل لا محالة بالجهة أو المكان بمعناهما الوجودي.

وهذا - بالطبع - زعم باطل، فإنه "إما أن يراد بالمكان أمر وجودي - أي: له مثيل في الوجود - وهو ما يتبادر للأذهان ويُظن أنه المراد بإثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى، فالجواب: أن الله منزه عن أن يكون في مكان بهذا الاعتبار لأنه تعالى لا تحوزه المخلوقات إذ هو أعظم وأكبر، بل وسع كرسيه السموات والأرض.. وإما أن يراد بالمكان أمر عدمي - يعني: لا مثيل له في الوجود - وهو ما وراء العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فهو سبحانه فوق العالم مباين له، وهو كما كان قبل أن يخلق المخلوقات، وهذا هو مراد المثبتين لعلوه تعالى ومراد ردهم على الجهمية والمعطلة الذين نفوا عن الله هذه الصفة ثم زعموا أنه في كل مكان بمعناه الوجودي"، كذا أفاده الألباني في مختصر العلو ص ٧٢، ٧٣..

ومنه يتبين أنه - وعلى حد ما جاء في عبارته في المختصر ص ٧١ - "لا ينبغي نفي الجهة توهماً من أن إثبات العلو لله تعالى يلزم منه إثبات الجهة، لأن في ذلك محاذير عديدة منها: نفي الأدلة القاطعة على إثبات العلو له تعالى، ومنها نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وقد صرح بنفيها المعتزلة والشيعة بحجة أنه تعالى ليس في جهة، وأما متأخرو الأشاعرة الذين أثبتوا الرؤية فتناقضوا حين قالوا: (إنه لا في جهة)، وقولهم كما ذكر شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/ ٢٥٢: "معلوم الفساد بضرورة العقل.. ولهذا يذكر الرازي أنه لا يقول بقولهم في مسألة الرؤية أحد من طوائف المسلمين".

يقول ابن رشد في الكشف عن مناهج الأدلة ص ٦٦: "لم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتون صفة الجهة لله سبحانه، حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم في نفيها متأخرو الأشاعرة.. وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى - ثم ذكر بعض الآيات في ذلك، ثم قال -: إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات، عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها متفقة على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين" ا.هـ.. وبه يظهر مدى مخالفة الأشاعرة لما عليه صحيح المعتقد.. وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.

أحكام العين والحسد

إعداد/ المستشار / أحمد السيد على إبراهيم

الحمد لله حمدا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه ومن تعبد، أما بعد.... فإن الناظر إلى أحوال المسلمين الآن، يجد بعدا شديدا عن رب العالمين، وانغماس الكثير منهم في ملذات الدنيا وشهواتها، وتنافسهم فيها، ووقوعهم فيما حذرهم منه رسولنا الكريم، من التحسس والتنافس والتجسس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر، وفى هذه المقالة نتكلم - بمشيئة الله تعالى - عن العين، والحسد المنهي عنهما، حتى يحذرهما المسلم، ولا يقع فيهما.

الوقفة الأولى: تعريف العين والحسد:

تعريف الحسد لغةً: الحسد مصدره حسده يَحْسدُه ويَحْسُدُه، حَسَدًا وحُسودًا وحَسادَةً، وحَسَّدَه: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما، وحَسَدَهُ الشيءَ وعليه.

تعريف الحسد اصطلاحًا:

قال الجرجاني في التعريفات: (الحسد تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد) اهـ.

وقال الكفوي في الكليات: (الحسد: اختلاف القلب على الناس؛ لكثرة الأموال والأملاك) اهـ.

وعرفه الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقال: (الحسد: إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغير، مع تمني زوالها عنه؛ لأجل غيرة على اختصاص الغير بتلك الحالة، أو على مشاركته الحاسد) اهـ.

تعريف العين لغة:

جاء في لسان العرب، والبحر المحيط: (عان فلاناً يعينه إذا أصابه بعينه، فهو معين، ومعيون؛ ورجل عائن، ومعيان، وعيون. فالذي يصيب بالعين يسمى العائن والمعيان إذا عرف عنه شدة الإصابة بالعين، ويسمى المصاب بالعين بالمعين والمعيون.

تعريف العين اصطلاحاً :-

يبين مما سبق أن العين أعم من الحسد من جهة ، وأخص منه من جهة أخرى ، فالعين أعم من جهة القصد فتصيب المعين قصد زوال النعمة عنه أم لا ، بينما الحسد لابد فيه من قصد زوال النعمة ، والحسد أعم من جهة تأثيره ، فيؤثر فى المحسود رآه الحاسد ، أم لا ، بينما العين لا تؤثر فى المعين إلا عند رؤيته .

الوقفة الثانية : الفرق بين الحاسد والعائن:-

قال ابن القيم - رحمه الله - في بدائع الفوائد : والعائن ، والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء ، فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه ، وتتوجه نحو من يريد أذاه . فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته ، والحاسد يحصل له ذلك عند غيب المحسود وحضوره أيضا أهـ .

وقال الشنقيطى في تفسير أضواء البيان: (ويشتركان - الحسد والعين - في الأثر، ويختلفان في الوسيلة والمنطلق. فالحاسد: قد يحسد ما لم يره، ويحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه، ومصدره تحرق القلب، واستكثار النعمة على المحسود، وبتمني زوالها عنه، أو عدم حصولها له، وهو غاية في حطة النفس. والعائن: لا يعين إلا ما يراه، والموجود بالفعل، ومصدره انقداح نظرة العين، وقد يعين ما يكره

أن يصاب بأذى منه كولده، وماله) اهـ.

الوقفة الثالثة: أدلة تحريم العين والحسد:

أولا: الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ) (البقرة ١٠٩).

٢- قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) (النساء ٥٤).

٣- قال تعالى: (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (الفلق ٥).

ثانيا: الأدلة من السنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إيَّاكم والظَّنَّ. فإنَّ الظَّنَّ أكْذبُ الحديث ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تَنافسوا، ولا تحاسَدوا، ولا تباغَضوا، ولا تدابَروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا) (رواه مسلم)

٢- عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال : (كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتعوّذُ من الجانّ وعين الإنسان حتى نزلت المعوّذتان، فلما نزلتا أخذَ بهما وتركَ ما سواهما) (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يُعوّذ الحسن والحسين : (أُعيذُكُما بكَلمات الله التَّامَّة منْ كُلّ شَيْطانٍ وَهَامَّة وَمنْ كُلّ عَيْنٍ لاَمَّة، ويقول : إن أباكما كانَ يعوّذ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ) (رواه البخاري).

ثالثا: من الإجماع:

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: (الحسد إن كان حقيقيًا، أي بمعنى تمنّي زوال النّعمة عن الغير فهو حرام بإجماع الأمّة؛ لأنّه اعتراض على الحقّ، ومعاندة له، ومحاولة لنقض ما فعله، وإزالة فضل الله عمّن أهّله له) اهـ.

الوقفة الرابعة : أنواع العين:

قال ابن القيم في زاد المعاد : (والعين عينان: عين إنسية وعين جنية فقد صح عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: (استرقوا لها فإن بها النظرة) ؛ وقوله: سفعة أي نظرة يعني: من الجن يقول: بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسنة الرماح، ويذكر عن جابر يرفعه: (إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر) وعن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يتعوذ من الجان ومن عين الإنسان)) اهـ.

الوقفة الخامسة : أقسام العين والحسد:

أولا: أقسام العين:

جاء في بحث " عين العائن " لأبى أسامة الحنبلي، بموقع ملتقى أهل الحديث: (وتنقسم العين إلى ثلاثة أقسام، وهذا تقسيم افتراضي وليس قطعي:

١- العين المعجبة: إن النفس إذا ما أفرطت في الإعجاب بنعمة من النعم أثرت فيها وأفسدتها - بإذن الله تعالى - ما لم يبرك صاحبها، يقول تعالى في سورة الكهف: (وَلَوْلا إذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ الله لاَ قُوَّةَ إلاَ بالله إن تَرَن أَنَاْ أَقَلَّ منكَ مَالاً وَوَلَداً)، ويقول صلى الله عليه وسلم (إذَا رَأَى أَحَدُكُمْ منْ أَخيه مَا يُعْجبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بالْبَرَكَة) جزء من حديث رواه ابن ماجة.

يقول ابن حجر: (أن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب، ومن الرجل الصالح، وإن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة فيكون ذلك رقية منه) أ.هـ.

عَنْ أَبي أُمَامَةَ بْن سَهْل بْن حُنَيْف أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ حَتَّى إذَا كَانُوا بشعْب الْخَزَّار منْ الْجُحْفَة اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْف وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجسْم وَالْجلْد فَنَظَرَ إلَيْه عَامرُ بْنُ رَبيعَةَ أَخُو بَني عَديّ بْن كَعْب وَهُوَ يَغْتَسلُ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْم وَلَا جلْدَ مُخْبَأَة فَلُبطَ سَهْلٌ فَأُتيَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّه هَلْ لَكَ في سَهْل، وَاللَّه مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفيقُ قَالَ هَلْ

تَتَّهِمُونَ فيه منْ أَحَد، قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْه عَامرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَدَعَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَامرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْه، وَقَالَ: عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، هَلا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ اغْتَسِلْ لَهُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْه وَمرْفَقَيْه وَرُكْبَتَيْه وَأَطْرَافَ رِجْلَيْه، وَدَاخلَةَ إِزَاره في قَدَح ثُمَّ صُبَّ ذَلكَ الْمَاءُ عَلَيْه يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسه وَظَهْره منْ خَلْفه، يُكْفَئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ فَفَعَلَ به ذَلكَ فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِه بَأْسٌ." (مسند أحمد)

٢- العين الحاسدة: وهي في الأصل تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، فتخرج سهام الحسد من نفس حاسدة خبيثة، باعثها الاستحسان المشوب بالصفات الذميمة، كالغيرة والحقد والكراهية والحسد، وتؤثر بالمحسود أو شيئا يخصه، ولو بغير إرادة ومشيئة ومعرفة الحاسد وهذا هو الفارق بينها وبين العين القاتلة.

٣- العين القاتلة (السمية): هي أشد أنواع العين تأثيرا في المعيون، فهي تخرج من العائن إلى المراد إعانته بقصد الضرر وبإرادة ومشيئة العائن، مِن بعد مشِيئة الله تعالى، وسمى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ الإصابة بالعين بالقَتل وذلك لما أعانَ عَامرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنُ حُنَيْف دَعَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَامرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْه وَقَالَ عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ هَلا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ." مسند أحمد "

قوله علام يقتل أحدكم أخاه: دليل على أن العين ربما قتلت وكانت سببا من أسباب المنية، وقوله ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين: دليل على أن المرء لا يصيبه إلا ما قدر له وأن العين لا تسبق القدر ولكنها من القدر." عمدة القاري باب العين "

قال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب من خبائه فتمر به النعم فيقول: ما رعى اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه، فما تذهب إلا قريبا حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله تعالى نبيه وانزل قوله تعالى: (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ). وذكر نحوه الماوردي. وأن العرب كانت إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدا تجوع ثلاثة أيام، ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر منه ولا أحسن؛ فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله. وعند أحمد عَنْ أبي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم " إِنَّ الْعَيْنَ لَتُولِعُ بِالرَّجلِ بِإِذْنِ الله حَتَّى يَصْعَدَ حَالقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْه ". وقد يصاب الإنسان بعين سمية في رأسه فتتلف خلايا مخه فيصاب بالجنون، أو قد يصاب الإنسان بعين سمية في نفسيته فيجهد من الضيق والحزن والكآبة وتضيق عليه الأرض بما رحبت فمثل هذا يخشى عليه من الانتحار والعياذ بالله.

يقول ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد عندما تعرض لتفسير سورة الفلق: (فلله كم من قتيل وكم من سليب وكم من معافى عادى مضني على فراشه يقول طبيبه لا أعلم داءه ما هو، فصدق ليس هذا الداء من علم الطبائع، هذا من علم الأرواح وصفاتها وكيفيتها ومعرفة تأثيراتها في الأجسام والطبائع وانفعال الأجسام عنها وهذا علم لا يعرفه إلا خواص الناس والمحجوبون منكرون له) اهـ.

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن جابر بن عبدالله عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس " قال البزار يعني العين. يقول ابن كثير في تفسيره لآخر آية في سورة القلم روي هذا الحديث من وجه آخر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين ".

والله نسأل أن يقينا وإياكم من العين والحسد، والحمد لله رب العالمين.

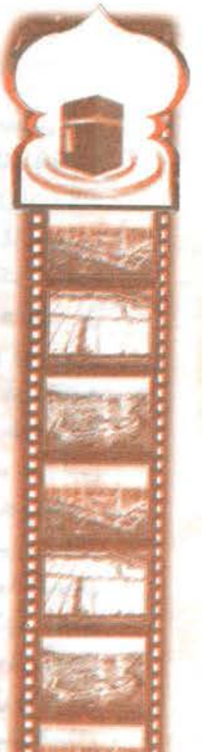

كيف تتذوق حلاوة الإيمان؟

إعداد/ عبدالباري الثبيتي

إمام وخطيب المسجد النبوي

الحمد لله، الحمد لله الذي جعل للإيمان طعمًا وحلاوة، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه وقد تفضَّل لمن شكرَه بالزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: «لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ» [يونس: ٢٦ ، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه بيَّن لأمَّته مسالكَ الزَّيغ وطريقَ السعادة، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أُولي الفضل والزيادة.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

عن عبَّاس بن عبد المُطَّلب - رضي الله عنه -، أنه سمع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ذاقَ طعمَ الإيمان من رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمَّد نبيًّا ورسولاً». إن من رضيَ بالله ربًّا أحبَّه، وتوكَّل عليه، واستعانَ به، واكتفى به - سبحانه -، ولم يطلُب غيرَه؛ لأن الكل غيرَه عاجزون ضِعاف، ومن لم يكفِه الله لم يكفِه شيء، ومن رضيَ بالله حازَ كل شيء، ومن استغنَى بالله لم يكن فقيرًا إلى أي شيء، ومن اعتزَّ بالله لم يذِلَّ لأي شيء، قال الله تعالى: (أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ) [الزمر: ٣٦ .

ومن رضيَ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - رسولاً اكتفى به قُدوةً وقائدًا ومُوجِّهًا، وأقبلَ على سيرته دارسًا، وعلى سُنَّته مُمتثلاً. ومن رضيَ بالإسلام دينًا قنعَ به، والتزَمَ واجباته، وترك ما نهَى عنه. للإيمان طعمٌ، وله حلاوة، لا يتذوَّقُها إلا من كان لذلك أهلاً. فالإيمان إذا باشرَ القلبَ وخالطتَه بشاشتُه ورَّثَ ذلك في القلب لذَّةً، وفي الحياة سُرورًا، وفي الصدر انشراحًا، ومن ذاقَ طعمَ الإيمان استلذَّ الطاعات، وتحمَّل المشاقَّ في رضا الله، وتفانَى في سبيله، وضحَّى بكل شيء من أجله، قال الله تعالى:« قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ »(يونس: ٥٨).

إذا خالطَت حلاوةُ الإيمان بشاشةَ القلوب جعلَت صاحبَها مع الله - سبحانه - في كل وقت وحينٍ، في حركات العبد وسكَناته، في ليله ونهاره، مع الله خالقه وبارئه ومُوجده وناصره. ولذلك أمرَنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقول دائمًا: «رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمَّد - صلى الله عليه وسلم - نبيًّا».

تركُ المعصية لله يُورِّث في القلب حلاوةً يجدُ طعمَها من فعل ذلك خوفًا من الله واستحياءً منه، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «النظرةُ سهمٌ من سهام إبليسَ مسمومة، فمن تركَها من خوف الله أثابَه - جلَّ وعزَّ - إيمانًا يجدُ حلاوته في قلبه». عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وأن يكرَه أن يعودَ في الكُفر كما يكرهُ أن يُقذَف في النار».

حلاوةُ الإيمان لها ثمنٌ باهظ، ولها آثارٌ مُباركة. ثمنُ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، أن يكون الله في قُرآنه والرسول في سُنَّته أحبَّ إلى المؤمن مما سواهما. وحينما تتعارَضُ مصلحتُك مع الشرع تُقدِّمُ

الشرعَ ورضا الله، وتختارُ طاعةَ الله ورسوله على هوى النفس وغيرها، فيكونُ الله تعالى عنده هو المحبوبُ بالكلية، وعند ذلك تصيرُ النفسُ مُتعلقةً بالله. محبَّةُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعني: ألا يتلقَّى المُسلمُ شيئًا من المأمورات والمنهيَّات إلا من مشكاته، ولا يسلُكُ إلا طريقتَه، حتى لا يجدَ في نفسه حرجًا مما قضاه، ويتخلَّق بأخلاقه في الجُود والإيثار والحلم والتواضُع وغيرها. ثمنُ حلاوة الإيمان: أن يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وهذا يعني: أن يبنيَ المؤمنُ علاقاته على أساس الإيمان؛ يُوالي المؤمنين ولو كانوا ضعافًا وفُقراء، ويُبغضُ العُصاةَ والمُشركين ولو كانوا أقوياء وأغنياء. حقيقةُ الحبِّ في الله: ألا يزيدَ بالبرِّ ولا ينقُصَ بالجفاء، والحديث يُعمِّقُ معاني الأخُوَّة في الإسلام التي لا تكونُ خالصةً إلا حين تكونُ في الله وفي مرضاة الله.

الأخُوَّة الإسلامية الحقَّة لا تتذوَّقُ حلاوةَ الإيمان إلا إذا كانت مُلازمةً للتقوى، قال الله تعالى: « ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ »[الزخرف: ٦٧ . «وأن يكرَهُ أن يعودَ في الكفر كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النار» هنا من يعبُد الله على حرف؛ إن أصابَه خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابَتْه فتنةٌ انقلبَ على وجهه خسرَ الدنيا والآخرة. إذا أقبلَت الدنيا آمَن، وإذا أدبَرَت تبرَّأ من الإيمان وعاد لما كان عليه.

المؤمنُ الحقُّ لا يتأثَّرُ بإقبال الدنيا ولا بإدبارها، ثابتَ الجَنان، صاحبَ عطاءٍ في المنشَط والمكرَه، في الفقر والغنى، في الصحة والمرَض. الذين ذاقُوا حلاوةَ الإيمان وصَفُوا هذه اللذَّة؛فهذا أحدُهم يقول: "إنه ليمُرُّ بالقلب لحظات، أقولُ: إن كان أهلُ الجنَّة في مثل هذا إنهم لفي نعيم". ويقول آخر: "إن في الدنيا جنَّةٌ من لم يدخُلها لم يدخُل جنَّةَ الآخرة". ويقول ثالث: "فإن للإيمان فرحةً ولذَّةً في القلب؛ فمن لم يجدها فهو فاقدُ الإيمان أو ناقصُه، وهو من القسم الذين قال الله - عز وجل - فيهم: « قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ » (الحجرات: ١٤).

من الذين ذاقُوا حلاوةَ الإيمان: خُبيبُ بن عديٍّ - رضي الله عنه -، قيل له: أتحبُّ أن يكون محمدٌ مكانَك وأنت مُعافًى في أهلك، وكان على وشك أن يُقتلَ صلبًا، فقال: "والله ما أحبُّ أن أكون في أهلي وولدي، وعند عافيةُ الدنيا ونعيمُها، ويُصابُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بشوكة". التي ذاقَت حلاوةَ الإيمان بلغَها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قُتل في أُحُد، فانطلَقَت إلى ساحة المعركة، فإذا أبوها مقتول، وأخوها مقتول، وابنُها مقتول، وزوجُها مقتول، فقالت: ما فعلَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فلما وقعَت عينُها على شخص النبي - صلى الله عليه وسلم -، اطمأنَّت وقالت: يا رسول الله! كلُّ مُصيبة بعدَك جلَل. الذي يذوقُ طعمَ الإيمان لو تُقطِّعه إربًا إربًا لا يتزحزَح عن دينه. وضَعُوا على صدر بلال - رضي الله عنه - صخرةً ليكفُر، فكان يقول: "أحدٌ أحد، فردٌ صمد".

هرقلُ ملكُ الرُّوم الذي عاصَرَ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، سألَ أبا سُفيان: هل يرتدُّ أحدٌ منهم سخطةً لدينه؟ فقال: لا. فقال هرقلُ: كذلك الإيمانُ إذا خالطَت حلاوتُه بشاشةَ القلوب. إذا ذاقَ المُسلمُ حلاوةَ الإيمان غدَا إنسانًا آخر، لحياته طعمٌ آخر، يَبنيها على العطاء، يسعَدُ بما يُعطي لا بما يأخُذ، يُقدِّمُ الخيرَ للآخرين.

ومن علامات حلاوة الإيمان: أتن يعتقدَ المؤمنُ من سُويداء قلبه أن الأرزاقَ بيد الله، وأن ما بسطَه الله على عبد لم يكُن لأحد أن يمنعَه، وأن نفسًا لا تموت حتى تستوفي رزقَها وأجلَها، قال الله تعالى: « مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » [النحل: ٩٧ .

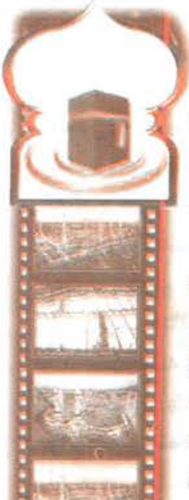

حلاوةُ الإيمان - عباد الله - تُضفي على العبادات لذَّة. قال أحدُهم: "كل ملذوذٍ إنما له لذَّةٌ واحدةٌ إلا العبادة، فإن لها ثلاث لذَّات؛ إذا كنتَ فيها، وإذا تذكَّرتها، وإذا أعطيتَ أجرَها".

في الصلاة لذَّةٌ حين يُؤدِّيها المُسلمُ بخشوع وحُضور قلب، فتغدُو قُرَّة عينه، ونعيمَ رُوحه، وجنَّةَ قلبه ومُستراحَه في الدنيا، فما يزالُ في ضيق حتى يدخُلَ فيها، ولذلك قال إمامُ المُتقين - صلى الله عليه وسلم -: «أرحنا بها يا بلال».

ولقيام الليل عند الصحابة والسَّلف منزلةٌ عظيمةٌ ولذَّةٌ لا تُبارَى. يقولُ أحدُهم: "والله لولا قيامُ الليل ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا، والله إن أهلَ الليل في ليلهم مع الله ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم".

والصيام يتلذَّذُ به السلفُ والصالِحُون أيَّما لذَّة. أما الحجُّ فإن لذَّته تدفعُ أصحابَه إلى ركوب المطايا وتجشُّم المشاقِّ حنينًا إلى البيت العتيق وشوقًا إليه.

ولذكر الله لذَّةٌ وأيُّ لذَّة! قال الله تعالى: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» [الرعد: ٢٨].

ولقراءة القرآن وتلاوته لذَّة، يقول عُثمانُ بن عفَّان - رضي الله عنه -: "لو طهُرت قلوبُكم ما شبِعَت من كلام الله - عز وجل -". قال الله تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا» (الإسراء: ١٩).

ألا وصلُّوا - عباد الله - على رسول الهُدى؛ فقد أمرَكم الله بذلك في كتابه، فقال: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريَّته، كما صلَّيتَ على إبراهيم، وبارِك على محمد وأزواجه وذريَّته، كما باركتَ على إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن الآل والصَّحب الكرام، وعنَّا معهُم بعفوك وكرمك ومنِّك يا أرحمَ الراحمين. اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمُسلمين، اللهم أعزَّ الإسلامَ والمُسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمُسلمين، وأذِلَّ الكفرَ والكافرين، ودمِّر اللهم أعداءَك أعداءَ الدين، واجعل اللهم هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًّا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ فأشغله بنفسه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميعَ الدعاء، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ فأشغله بنفسه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميعَ الدعاء، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ فأشغله بنفسه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميعَ الدعاء.

اللهم انصُر وأنجِ المستضعَفين من المسلمين في كل مكان، اللهم إنهم جياعٌ فأطعمهم، وحُفاةٌ فاحملهم، وعُراةٌ فاكسُهم، ومظلومون فانتصر لهم، ومظلومون فانتصر لهم، ومظلومون فانتصر لهم.

اللهم ألِّف بين قلوب المُسلمين، ووحِّد صفوفَهم، واجمَع كلمتَهم على الحقِّ يا رب العالمين.

اللهم مُنزلَ الكتاب، مُجريَ السحاب، هازمَ الأحزاب، اهزِم أعداءَك أعداءَ الدين وانصُر المسلمين عليهم يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذُ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل.

اللهم أصلح لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتَنا التي فيها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كل خير، والموتَ راحةً لنا من كل شرٍّ يا رب العالمين. اللهم إنا نسألُك الهُدى والتُّقى والعفاف والغنَى، اللهم إنا نسألُك فواتح الخير وخواتمَه وجوامعَه، وأولَه وآخرَه، وظاهرَه وباطنَه، ونسألُك الدرجاتِ العُلى من الجنة يا رب العالمين.

لغة الإسلام

شموخ على مدى الأعوام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين، صلى الله عليه وسلم ورضي عن صحابته الغر الميامين، وبعد:

عادة ما تندثر اللغات بفناء أهلها أو الإهمال المتعمد لمضمونها بحيث تصير جوفاء فيهجرها أصحابها إلى لغة أخرى أكثر شمولية واستيعابًا لمتطلبات الزمن، وعندما تتسلط الشعوب بعضها على بعض، يحاول القوي أن يفرض لغته على تلك البقاع التي يستحوذ عليها، وبتعاقب الأجيال تصبح لغة العدو حقيقة مُسلم بها لتحل محل اللغة الأم، فتطمس الهوية وتتهدم المعالم، ودروس التاريخ لتلك الإبادة اللغوية لا تخفى على أحد، واللغة هي حياة الشعوب تزداد قوة وتألقًا إذا كان الناطقين بها يملكون زمام أمرهم من قوة ومنعة وغير ذلك من أسباب القوة، ويصيبها الضعف والخمول بضعف أصحابها.

إعداد/ محمد محمود فتحي

ومشاكل اللغة ليست وليدة هذا القرن فحسب، فقد تحدث عنها القدماء تحت مسمى «اللحنِ» وما تخطئ فيه العامة، وعُني المحدثون أيضًا بذلك، لكن الأمر تخطى اللحن إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، فكما يتعرض العرب والمسلمون لسلسلةٍ من الهجمات والانتكاسات تتعرض لغتهم أيضًا لما يشبه ذلك، والمؤلم أن يأتي الهجوم من الداخل وليس من الخارج كما اعتدنا دائمًا، فأبناء جلدتنا ممن يتسمونِ بأسمائنا وينطقون لغتنا يسعون لمحاربتها وفقًا لمخططات غربية ويحاربون لأعدائنا معاركهم، لذلك سنحاول من خلال تلك السطور تسليط الضوء على الأسباب الدافعة لهجر العربية ودحض الافتراءات المتعلقة بذلك.

شموخ على مدى الأعوام

العربية لغة كاملة محببة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة. (د. عبد الوهاب عزام).

واللغة العربية ضاربة في القدم، فاح عبيرها بين الأمم، وهي منذ عصورها الأولى إلى يومنا هذا ما زالت مكتملة الأركان ومتجاوبة مع حدود الزمان والمكان، بسطت نفوذها أصقاع الأرض في تلك الأيام الغابرة من تاريخنا المجيد، وإذا كان المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره... ونحلته وسائر أحواله وعوائده، كما قال ابن خلدون في مقدمته، تسابقت الأمم التي احتواها الإسلام تحت رايته إلى تعلم العربية حتى نافسوا فيها أهلها، وظهر من تلك البلدان شوامخ في الفكر والأدب في شتى العلوم والمعارف، أثروا الفكر الإنساني بجواهر ونفائس تسابق الغرب بعد ذلك على ترجمتها والاعتراف بها، ولما كان العرب هم ملوك البيان وأصل الفصاحة، شاء الله تعالى أن تكون معجزته الخالدة لأهل الضاد القرآن

الكريم الذي أُنزل بلغتهم على نبيهم صلى الله عليه وسلم.

ورغم ذلك تحداهم الله أن يأتوا بمثله فبهتوا جميعًا: « قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » الآيات (الإسراء:٨٨).

وقد تعهد الله بحفظ كتابه: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ » (الحجر:٩)، وكان تبعًا لذلك أن حفظت العربية المدون بها كلام الله تعالى، ويكفي العربية فخرًا أن نزل القرآن بلغتها، قال الله تعالى: « كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (فصلت:٣)، وقال أيضًا: « إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَـٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (يوسف:٢)، يقول المستشرق كارل بروكلمان: «لقد بلغت اللغة العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه لغة أخرى، وقد صمدت اللغة العربية خمسة عشر قرنًا معبرة عن شتى العلوم والمعارف في أزمان متفاوتة وأماكن متعددة، وما زالت العربية إلى الآن برغم ما ألم بها من ضعف هي محط الأنظار ومبعث الفخار، فبعض الدول الإسلامية التي تنطق بغير العربية مازالت تكتب بالحرف العربي وتسميه الحرف الشريف (كباكستان، وأفغانستان، وتركيا)».

وما جابه أحد اللغة العربية إلا خارت قواه وتلاشت عزيمته، تقول المستشرقة الألمانية زيغرهونكه: «كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى تلك اللغة».

إن اللغة العربية التي صمدت أمام الحكام الأعاجم في عصورها المختلفة وفرضت نفسها حتى تسارع هؤلاء لتعلمها، لحري بأهلها أن يحافظوا عليها ويشدوا من أزرها.

أسباب الهجران ومواطن الضعف

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب»، أضف إلى ذلك تلك النظرة البلهاء إلى الغرب وانجازاته دون إدراك منا أن ما آلت إليه الحضارات المتقدمة إنما هو نتاج جهود من العباقرة العرب الذين بسطوا نفوذهم الفكري على القلوب والأذهان، ناهيك عن نفوذهم الحضاري في تلك الفترات المضيئة للدولة الإسلامية الفتية.

وبتقادم الزمن حافظ الغرب على هويته ولغته فساد الأمم، ولكي يتعلق العرب بالأذيال نادى البعض بضرورة التخلص من العربية لأنها لا تتطابق مع مجريات الأحداث وأنها سبب التأخر، حيث يدعي البعض أنها لا تواكب التقدم العلمي والطفرة الهائلة في المجالات العسكرية والاقتصادية، ويدحض هذا الادعاء تلك المرونة العجيبة للغة العربية استيعاب الحضارات الأخرى وثقافاتها فانبرى علماء العرب على ترجمة أمهات الكتب اليونانية والإغريقية في الطب والفلك والرياضيات وغيرها مع صعوبة تلك اللغات مقارنا باللغة الإنجليزية الحالية، ولم يقتصر الأمر على الترجمة بل دأب علماؤنا على تنقيحها واخراجها في أبهى صورة عربية تلقفتها يد الغرب ترجمة ودراسة، ومن يدعي القصور لا يعلم إن العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية، فمعجم لسان العرب لابن منظور من القرن الثالث عشر يحوي أكثر من ثمانين ألف مادة بينما في اللغة الإنجليزية فإن قاموس صموئيل جونسون (وهو أول قاموس إنجليزي) من القرن الثامن عشر يحتوي على اثنين وأربعين ألف كلمة.

إن الغاية العظمى لمن يدّعي القصور للعربية هو أن تبقى الأمة الإسلامية في ذل وهوان، كما قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار».

ويقول حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

سبب آخر للهجر وهو وضع اللغة الإنجليزية في قالب واحد مع العربية في مراحل التعليم الأولى، بل وقبل ذلك فيما يسمى بالحضانات مما يؤدي لتزاحم عقل الصغير بلغتين، ويبقى هذا الصراع يداعب النشء حتى تنتصر إحداهما أو تضيع كلاهما، فيجاوز الطفل هذه المراحل صفر اليدين ولغتنا العربية هي المغبونة في كلتا الحالتين، لقد كان لاستبدال الكتاتيب بالحضانات الأثر السيئ على العربية وأهلها، فبدلاً من دراسة قواعد اللغة العربية والقرآن الكريم، تم استحداث اللغة الإنجليزية معها، والتي مع انجلاء أصحابها عنا منذ زمن لكنها ما زالت قابعة في مفاصل الدولة تشل حركتها وتعوق تقدمها، ينبغي أن تكون العربية وفقط هي محور الدراسة في الحضانات أو التعليم الأساسي حتى إذا ما تشبع الجيل الصغير من مبادئ العربية فلا مانع من إضافة لغة أخرى إليه.

يقول أحمد شوقي:

إن الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

جهود الشعوب في الحفاظ على لغاتها

إن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون كما قال ابن تيمية رحمه الله، ولعل تجارب الأمم في الحفاظ على لغاتها والتمسك بها والزام أهلها التحدث بها هو من ابتعث تلك الأمم من رقادها وساقها إلى مجدها، وما نهضت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية إلا بجعلها اللغة اليابانية لصيقة التقدم العلمي في كل مناحي الحياة وكان ما كان من تفوقها العلمي حتى على من حاولوا تدميرها وبرغم لغتها المحدودة الانتشار إلا أن ذلك لم يمنع تقدمها المذهل حتى أصبحت إحدى الدول السبع الصناعية في العالم ، ونتيجة لذلك أصبحت اللغة اليابانية لها مكانة كبيرة في العالم فبلغ عدد دارسي اللغة اليابانية على مستوى العالم ثلاثة ملايين وثلاثمائة وستين ألف طالب وطالبة يدرسون في خمسة عشر ألف مؤسسة تعليمية منتشرة في مائة وخمس وعشرين دولة بالعالم، وفق إحصاء المؤسسة اليابانية لعام ٢٠٠٩م.

كذلك الكوريون لهم تجارب في الحفاظ على لغتهم فلا يسمح بدراسة اللغة الأجنبية إلا في مرحلة الثانوية، أما المدارس الأجنبية، فلا يحق للكوري الانتساب إليها إلا بحدود ما يشكل ثلاثة في المائة واشترطوا في من يرغب في تدريس اللغة الكورية أن يؤدي امتحانا باللغة الكورية شعرًا ونثرا شفهيًا وتحريريًا.

وإلى المارد الصيني حيث كان أول قرار أعلنه ماوتسى تونج عام ١٩٤٩م توحيدًا للغة تحت لواء الخانية (لغة بيكين) والتخلي عن الإنجليزية واللهجات المحلية، وألزمت الصين عام ٢٠٠١م وسائل الإعلام باستخدام اللغة الصينية المعتمدة على الكتاب المبسطة، ونقول: هل عاق ذلك تقدم الصين؟ وهل وقفت اللغة حجر عثرة في طريق تقدم؟ والجواب هو أن اللغة نواة التقدم لمن أراد ذلك.

كذلك بريطانية حافظت على لغتها الأم حيث أصدر المجلس القومي العلمي للغة الإنجليزية قرارًا يقضي بأن على كل معلم مهما كان اختصاصه أن يكون معلمًا للغة الأم أولاً، وذلك بهدف الحفاظ على اللغة وتقويتها.

أيضًا فرنسا لها تاريخ عريق في الاهتمام باللغة وسلامتها، ففي عام ١٩٩٤م صدر بمناسبة مرور مائتي عام على قانون حماية اللغة الفرنسية قانون ورد فيه: «يعاقب كل من يوقع وثيقة بغير اللغة الفرنسية بالفصل من وظيفته وبالسجن ستة أشهر».

والأمثلة كثيرة لتلك الدول التي تقدمت بالحفاظ على لغتها الأم.

أما أمتنا العربية متمثلة في مؤسساتها الرسمية أضحت معاول هدم لصروح العربية الشامخة، فليس هناك قانون يحمي العربية، اللهم إلا إشارة ضعيفة في الدساتير أنها اللغة

الرسمية للبلاد، دون حماية لذلك الدستور من المساس به، إن ما يميت الفؤاد كمدًا أن الغرب ما تقدم إلا بالحفاظ على موروثه اللغوي، أما نحن فنبيد العربية يومًا بعد آخر ظنًا منا أننا نحسن صنعًا، إن اللغة العربية التي رفعت أهلها قديمًا إلى ذرا المجد حري بأهلها اليوم أن يُنزلوها مكانها الصحيح حتى تعود للأمة ريادتها المسلوبة.

التعريب خطوة على الدرب

إن الدافع لتبني جميع أبناء الوطن اللغة العربية في جميع مراحلة ، هو حب الوطن والثقة بالنفس، الثقة بقدرتنا على إثبات وجودنا أمام العالم كله بكفاءتنا للنهوض من الكبوة، والتمسك باللغة تعبير عن التمسك بالوطن والتاريخ. (د. عبد السلام العجيلي).

وقد انقسمت الأقلام في بدايات القرن العشرين ما بين مؤيد ومعارض لفكرة التعريب وكلا الطرفين مدعوم بشواهد وأدلة يؤيد نظريته، لكن التعريب في حد ذاته لا غضاضة منه، فأما المانع من صياغة تجارب الغرب والتي قامت بعقول أسلافنا في قالب عربي، نتعلم لغتهم بإتقان لغرض هام وهو تعريب العلوم وليس للتعليم باللغة الأجنبية، فنقوم بتعريب جل ما يقع تحت أيدينا من تراثهم التقدمي فنكون بذلك قد حافظنا على لغتنا الأم والتي ستكون عاملاً أساسيًا في نهضة الأمة من جديد.

ولعل تجربة الجمهوربية العربية السورية في هذا المضمار خير دليل على نجاحها والتي نسأل لها ولكل الأوطان الإسلامية السلامة والأمن، وأن يبيد الطغيان لتبقى ثابتة الأركان، قامت سوريا بتعريب العلوم في التعليم العالي، وفي هذا السياق يقول الدكتور عبد الله واثق شهيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق: «بعد ما قام به أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي من أروع مراحل تعريب التعليم العالي في القرن العشرين، إنه يشبه إلى حد كبير ما قام به أسلافهم في القرن التاسع عشر في مصر والشام». اهـ.

فكيف لا تعمم تلك التجربة في كل أقطار الوطن العربي وقد ثبت نجاحها، وهناك بعض الإرهاصات في مصرنا الحبيبة متمثلة في جمعية تعريب العلوم المصرية، والتي تجاوزت العشرين عامًا منذ بدء إنشائها ، يقول رئيسها الأستاذ محمد يونس الحملاوي: «استطعنا توفير الكتب المعربة في العلوم التطبيقية المختلفة ونشرها على موقع الجمعية على الإنترنت للتحميل مجانًا كنقطة انطلاق في هذا المجال، وننتظر من أساتذة الطب والهندسة والعلوم استخدام واعتماد هذه المواد»، لكن للأسف يبقى دور هذه الجمعية مهمشًا طالما الدولة بمؤسساتها الرسمية لا تحرك ساكنًا أمام تلك التجارب الوليدة والتي تعد اللبنة الأولى للرقي والرفعة.

والأمم المتحدة قسمت العالم إلى دول صدارة قوامها ٢٣ دولة كلها تدرس المعارف المختلفة بلغتها من الحضانة وحتى الدكتوراه، أما الدول المتأخرة فهي التي تدريس العلوم بغير لغتها، فهل من المعقول أن نظل متأخرين وعندنا من التراث اللغوي ما يؤهلنا لنتبوء المكانة العالية بين الإمم.

وخير ما أختم به ما قاله الأستاذ محمد كرد علي عن اللغة العربية: «لقد اندثرت فعلاً مئات اللغات في القرن الماضي أما لغتنا العربية، فلها في هذا الخضم من القرآن الكريم حرز، ومن الحضارة الإسلامية ركن شديد، ولها في نفس كل مسلم قدسية أضفاها عليها القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف وهي التي أبدعت مصطلحات علوم تلك الحضارة السامية، فانتشرت بها في أصقاع العالم كله وأنارت ظلمات العصور الوسطى، ومهدت لعصر التنوير، إنها لغة العلم والحضارة» (جريدة المقتبس).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فتاوى

يجيب عليها اللجنة الدائمة

س١: ما قصة يوم عاشوراء وحقيقتها؟

ج: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عند مهاجره وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقالوا: هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا لله، فنحن نصومه، فقال صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه (أخرجه البخاري ٤٢٦٩، ومسلم (١١٣٠)». وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [فتوى رقم (١٧٦٣٥)].

س٢: هل يجوز صيام عاشورا يوما واحدا فقط؟

ج: يجوز صيام يوم عاشوراء يوما واحدا فقط، لكن الأفضل صيام يوم قبله وهي السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع (صحيح مسلم ١١٣٤)»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يعني مع العاشر). وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [فتوى رقم ١٣٧٠٠).

س٣: صيام يوم عاشوراء هل التاسع والعاشر أو العاشر والحادي عشر، أو الثلاثة معا؟

ج: صوم يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر المحرم سنة مؤكدة، والأفضل أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم؛ مخالفة لليهود، وإن صام الثلاثة كلها فهو أكمل كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم في (زاد المعاد). وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [فتوى رقم ١٨٥٤٧) .

س٤: جاء في الحديث: «أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فصامه وأمر بصيامه (صحيح البخاري ٣٩٤٣)»، فيكف يتفق هذا مع أمره بمخالفة أهل الكتاب في أمور كثيرة؟

ج: كان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ثم شرع الله له مخالفتهم، فأمر أمته بذلك، ومن ذلك صوم يوم عاشوراء، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع (صحيح مسلم ١١٣٤)» يعني مع العاشر، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خالفوا اليهود صوموا يوما قبله أو يوما بعده (أخرجه أحمد: ٢٤١/١)». وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [فتوى رقم ٢٠٧٤٦)

س٥: هل يجوز للمرء أن يقدم الزكاة قبل مرور الحول؟ بعبارة أخرى: قبل عيد الأضحى بأيام قامت أمي بإعطاء مبلغ مالي إلى أحد أقربائها حتى تتسنى له الأضحية، بحيث قالت لي إنها ستنويها من زكاة عليها عند قدوم وقتها (الزكاة) وعند قدوم عاشوراء سوف تخصم المبلغ الذي تصدقت به من المبلغ الإجمالي. ما حكم الشرع في هذا؟

ج: يجوز تعجيل إخراج الزكاة قبل تمام الحول، وما فعلته والدتك يجزئ إذا كانت حين دفعها المبلغ

المذكور قد نوته من الزكاة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [فتوى رقم (١٧٦٦٠).

س٦: هناك أضرحة للأولياء تذبح فيها كل سنة في عاشوراء أكثر من ٤٠ غنماً وغنمة تقريبا وأكثر من ١٠ أبقار تقريبا. يجتمع فيها بعض المسلمين المخرفين يقرؤون القرآن باسم الدعاء للأموات ثم يأكلون هذه الذبائح، المطلوب من سماحتكم أن تفتونا في هذه المشكلة مع الدليل.

ج: أولاً: ما ذكرت من ذبح الذبائح عند أضرحة الأولياء شرك وفاعله ملعون؛ لأنه ذبح لغير الله، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لعن الله من ذبح لغير الله (صحيح البخاري٢٦٩٧)»، وعلى هذا لا يجوز الأكل من الغنم والأبقار التي ذبحت عند قبور الأولياء.

ثانيا: قراءة القرآن على الأموات بدعة محدثة، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق على صحته. [فتوى رقم ٦٢٠٨ .

س٧: ما هو حكم الشرع في بعض الأمور التي تحدث هنا في مصر مثل أن يقوم الخاطب بإرسال بعض الهدايا في المواسم، مثل شهر رجب وشعبان ورمضان وعاشوراء والعيدين، فهل هذا الأمر فرض أم سنة، وهل هناك حرج على من يفعل ذلك؟

ج: الهدايا بين الناس من الأمور التي تجلب المحبة والوئام، وتسل من القلوب السخيمة والأحقاد، وهي مرغب فيها شرعا، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- «يقبل الهدية، ويثيب عليها (صحيح البخاري: ٢٥٨٥)» وعلى ذلك جرى عمل المسلمين والحمد لله، لكن إذا قارن الهدية سبب غير شرعي فإنها لا تجوز، كالهدايا في عاشوراء أو رجب، أو بمناسبة أعياد الميلاد وغيرها من المبتدعات؛ لأن فيها إعانة على الباطل ومشاركة في البدعة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. [فتوى رقم ١٩٨٠٥ .

فتاوى في الطهارة

س٨: عمن أصابها نزيف كيف تصلي؟

الجواب: مثل هذه المرأة التي أصابها الدم حكمها أن تجلس عن الصلاة والصوم مدة عادتها السابقة قبل الحدث الذي أصابها، فإن كان من عادتها أن الحيض يأتيها من أول كل شهر لمدة ستة أيام مثلاً فإنها تجلس من أول كل شهر مدة ستة أيام لا تصلي ولا تصوم، فإذا انقضت اغتسلت وصلت وصامت. وكيفية الصلاة لهذه المرأة وأمثالها أنها تغسل فرجها غسلاً تاماً وتعصبه وتتوضأ، وتفعل ذلك عند دخول وقت صلاة الفريضة لا تفعله قبل دخول الوقت، تفعله بعد دخول الوقت ثم تصلي وكذلك تفعله إذا أرادت أن تتنفل في غير أوقات الفرائض، وفي هذا الحال ومن أجل المشقة عليها يجوز لها أن تجمع صلاة الظهر مع العصر أو العكس وصلاة المغرب مع العشاء أو العكس حتى يكون عملها هذا واحداً للصلاتين صلاة الظهر والعصر وواحداً للصلاتين المغرب مع العشاء، وواحداً لصلاة الفجر بدلاً من أن تعمل ذلك خمس مرات تعمله ثلاث مرات. (مجموع وفتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٤/٢٩٣).

س٩: امرأة انقطع عنها الدم للكبر وأثناء السفر أتاها دم واستمر معها؟

الجواب: كثير من العلماء يحدد لانتهاء الحيض من المرأة خمسين سنة، وبناء على هذا القول يكون هذا الدم الذي أصاب هذه المرأة ليس حيضاً فلا يمنعها من الصلاة ولا من الطواف ولا من الصوم إلا أنه لا يحل لها أن تدخل المسجد الحرام أو غيره من المساجد إذا كانت تخشى أن تتلوث بالدم النازل منها، وأما على قول من يقول إن الحيض ليس لانقطاعه سن معينة وأنه يمكن للمرأة أن تحيض ولو بعد خمسين سنة وبقي الحيض معها مستمر فإن الدم يكون حيضاً، لكن هذه المرأة يذكر السائل عنها أنها انقطع الدم لمدة سنتين ثم أتاها هذا الدم الذي هو مشكل لأنه لو كان مستمراً معها فليس فيه إشكال لأنه حيض على القول الراجح لكن لما انقطع لمدة سنتين ثم جاءها هذا الدم الذي ليس منضبطاً فالظاهر أنه ليس دم حيض وحينئذ لها أن تطوف وتصلي وتصوم. (فتاوى ودروس الحرم المكي للشيخ ابن عثيمين٣/٢٦٢).

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام	٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير	٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي	١٠
باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي السالوس	١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
درر البحار: علي حشيش	٢١
عذاب القبر ونعيمه (٢): صلاح نجيب الدق	٢٣
وسائل التربية: د. أحمد فريد	٢٧
ميلاد جديد وصحيفة بيضاء: عبده أحمد الأقرع	٣٠
باب الفقه: د. حمدي طه	٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي	٣٨
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر	٤٢
الصدق والصادقون: الشيخ مصطفى العدوي	٤٥
نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : جمال عبد الرحمن	٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش	٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل : د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
أحكام العين والحسد: المستشار: أحمد السيد علي	٦١
منبر الحرمين: الشيخ عبدالباري الثبيتي	٦٤
لغة الإسلام شموخ على مدى الأعوام: محمد محمود فتحي	٦٧
باب الفتاوى	٧١

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

الاخراج الصحفي
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢ - في الخارج٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٨٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

البرهان على أن طاعة الرسول من طاعة الرحمن

بقلم / الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من آتاه الله الكتاب ومثله معه، وعلى آله وأصحابه الهداة المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن أعداء الإسلام لما عجزوا عن إبطال القرآن الكريم والنَّيْل منه، فكروا في حيلة أخرى يهدمونه بها، وذلك من خلال الطعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اجتمعوا على ذلك منذ القدم، فالخوارج- وهم من أقدم الفرَق- لما كفَّروا بعض الصحابة لم يأخذوا بأحاديثهم نتيجة لذلك، وكذلك غلاة الشيعة أنكروا السنة ولم يحتجوا إلا بما ورد عن أئمتهم بزعمهم ثم كان الفكر الاعتزالي الذي أعلى من قيمة العقل ومكانته، حتى قدموه على النص، وكانت لهم وقفة عجيبة وجرأة عظيمة في رد النصوص وتكذيبها، كالذي وقع من عمرو بن عبيد المعتزلي في رده لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه- المعروف بحديث الصادق المصدوق-، واستمر الحال حتى يومنا هذا، وقد ظهر في أخريات القرن الهجري الماضي جماعة أُطلق عليهم القرآنيون لزعمهم الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، وأعملوا عقولهم في النصوص، حتى في القرآن ذاته، ولم يرفعوا رأسًا للسنن والآثار، واشتد هؤلاء- بعلم أو جهل- في هذه الأيام، وأصبحوا يرددون أقوال وشبهات السابقين، ونظرًا لخطورة هذا الأمر، ورغبة في إبداء النصح، ودفاعًا عن السنة والدين أبين ما يلي:

أولا: أهمية طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحذير من مخالفته:

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، قال الله تعالى: «مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء:٨٠، وقال سبحانه: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» [الأحزاب:٣٦، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ» [النساء:٥٩.

قال ابن القيم رحمه الله: «فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه». [إعلام الموقعين ١/٤٨ .

كما أوجب الله تبارك وتعالى النزول على حكمه في كل خلاف، فقال سبحانه: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [النساء:٦٥ ، فقد أقسم الله تعالى في الآية بربويته للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تكريم للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم أمر بتحكيمه في القضايا التي يقع فيها خصام، وعلى الجميع أن يرضى وينشرح صدره بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألا يكون هناك ضيق أو شك في حكمه عليه الصلاة والسلام، مع ضرورة الانقياد والتسليم له صلى الله عليه وسلم، قال القاسمي رحمه الله في تفسيره للآية: "اعلم أن كل حديث صح عن رسول الله صَلّى الله عليّه وسلّم، بأن رواه جامعو الصحاح، أو صححه من يرجع إليه في التصحيح من أئمة الحديث، فهو مما تشمله هذه الآية، أعني قوله تعالى: «مِّمَّا قَضَيْتَ»؛ فحينئذ يتعين على كل مؤمن بالله ورسوله الأخذ به وقبوله ظاهراً وباطناً، وإلا بأن التمس مخارج لرده أو تأويله، بخلاف ظاهره، لتمذهب تقلّده وعصبية رُبِيَ عليها، كما هو شأن المقلدة أعداء الحديث وأهله" [محاسن التأويل: ١٣٧٣/٥ .

وقال الشنقيطي- رحمه الله- في الآية: «أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكّم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرًا وباطنًا، ويسلمه تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة». [أضواء البيان ٣٣٤/١ .

كما بيّن تعالى الله في كتابه بيانًا واضحًا أن من أطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أطاع الله، قال الله تعالى: «مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » [النساء:٨٠ ، ومعنى الآية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم يُطاع، وطاعته طاعة الله، لأنه مبلّغ عن الله تبارك وتعالى، وهو حامل رسالة الرب إلى الخلق، فمن أطاعه فقد أطاع الله بذلك،

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني" وهذا الحديث ثابت في الصحيحين". [انظر تفسير ابن كثير ٧٢٦/١ .

على الجميع أن يرضى وينشرح صدره بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألا يكون هناك ضيق أو شك في حكمه عليه الصلاة والسلام.

وقد أعلمنا الله في كتابه أن من علامات المنافقين الإعراض عن تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن الخلاف، قال الله تعالى: « وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » [النور: ٤٧- ٥١ .

وقد بينت الآيات موقف المنافقين المعادي للنبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ورفضهم الانصياع لأمره والنزول على حكمه إلا إذا كانت لهم مصلحة في ذلك، بخلاف أهل الإيمان الذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا سمعنا وأطعنا، وقد شهد الله لهم بالفلاح لذلك، والجنة التي

يعمل لها المؤمنون ويسعى إليها الساعون لن تكون وتتحقق إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » [النساء:١٣] ، وقد أكد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى». قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». [البخاري: ٧٢٨٠] .

ومن كان صادقًا في حبه لله تعالى ورغب في حب الله له فعليه باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته في كل ما جاء به، قال الله تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » [آل عمران:٣١] ، قال ابن كثير في تفسيره للآية: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل مَن ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال «قُلْ إن كُنتُمْ تُحبونَ الله فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ الله». [تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٤] .

كما تعهد الله تعالى لمن أقام شرعه وأطاع ربه ونبيه صلى الله عليه وسلم بالرحمة، فقال تعالى: « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » [التوبة:٧١] ، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تلحق العبد وتجعله مع المنعم عليهم من رب العالمين، وهم خير فقه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » [النساء:٦٩] .

> من كان صادقًا في حبه لله تعالى ورغب في حب الله له فعليه باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته في كل ما جاء به.

وكما أمر الله في كتابه بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حذر من مخالفته والخروج على أمره، كما قال تعالى: « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [النور:٦٣] ، وهذا فيه تحذير ووعيد شديد لمن خالف أمره عليه الصلاة والسلام، قال ابن كثير رحمه الله: وقوله «فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهراً. «أنْ تُصيبَهُمْ فتْنَةٌ» أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة «أوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ أليمٌ» أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. [تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٢] .

وقال الشنقيطي رحمه الله: وهذه الآية الكريمة قد استدل بها الأصوليون على أن الأمر المجرد عن القرائن يقتضي الوجوب؛ لأنه جل وعلا توعد المخالفين عن أمره بالفتنة أو

احذروا مجالسة من قد أصابته الفتنة فزاغ قلبه، وعشيت بصيرته، واستحكمت للباطل نصرته، فهو يخبط في عشواء ويعشو في ظلمة أن يصيبكم ما أصابهم.

العذاب الأليم، وحذرهم من مخالفة الأمر. وكل ذلك يقتضي أن الأمر للوجوب، ما لم يصرف عنه صارف، لأن غير الواجب لا يستوجب تركه الوعيد الشديد والتحذير. [أضواء البيان ٦/٢٥٣.

قلت: وهذا يبين أهمية اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الخروج عن سنته بحال، وقد ذكر الشاطبي رحمه الله أن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد. فقال: لا تفعل، قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة هذه؟! إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! إني سمعت الله يقول: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم».

ثم قال الشاطبي معقبًا على ذلك: «وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله في تفسير الآية: هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما اهتدوا إليه بعقولهم». [الاعتصام: ١/١٣٢.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعًا ثم جعل يتلو: « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ » [النور:٦٣ ، قال ابن بطة رحمه الله معقبًا على هذا الأثر: «فالله إخواني، احذروا مجالسة من قد أصابته الفتنة فزاغ قلبه، وعشيت بصيرته، واستحكمت للباطل نصرته، فهو يخبط في عشواء ويعشو في ظلمة أن يصيبكم ما أصابهم». [الإبانة ١/ ٢٦٠ .

وقد كتب الله الذلة والصغار على كل من حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وخالف ما أمر به من الاتباع، قال الله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ » [المجادلة:٢٠ ، وما ذاك إلا لأن الغلبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى بعد الآية السابقة: « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » [المجادلة:٢١ .

وأختم هذا المقال بذكر عقوبة وقعت في الدنيا فيها من الذلة والمهانة لرجل حادَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ؟ فَأَمَاتَهُ الله فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ، وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ". [البخاري: ٣٦١٧ .

وهذا وعيد شديد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لكل من أنكر شيئًا، أو عاند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند ربه.

أسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق وعلى الهدي المحمدي الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الطلاق وَحْش مفترس.. يهدد كيان الأسرة

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون... وبعدُ:

ها أنذا أجد نفسي من كثرة المرارة والألم وسط الأجواء الضبابية التي تُخيم على مجتمعاتنا ومنطقتنا العربية، وتزداد معها التدخلات الخارجية التي دبرت وحاكت ما يحدث بليل، وسط تفاعلات مخابراتية تكشف كل يوم عن فصل جديد من فصول التآمر والتخطيط لشرق أوسط وضعت له الخطط الخبيثة لإعادة رسمه من جديد، واقتلاع دُولٍ، وتفتيت دولٍ أخرى، وإشعال المؤامرات، وإثارة النزعات الانفصالية، وتدمير اقتصاديات دولٍ كاملة، وما يحدث في سوريا والعراق واليمن ليس عنا ببعيد، خاصة بعد سيطرة الحوثيين على مدخل البحر الأحمر وعلى مضيق باب المندب، وإثارة الاضطرابات على الحدود المصرية معها، واستخدامها في إثارة القلاقل في مصر.

ناهيك عما يحدث من محاولات صهيونية، تستغل انشغال الدول العربية، والمجتمع الدولي بما يقع من اضطرابات إقليمية يختلط فيها الحابل بالنابل، وتقوم بإغلاق الأقصى ومحاولة السيطرة عليه، ومنع آلاف المصلين من الصلاة فيه، ودفع المستوطنين اليهود لتدنيس الأقصى، ومنع المسلمين من ممارسة عبادتهم مما اضطر آلاف المسلمين للصلاة في الشوارع المحيطة بالأقصى، بعد أن قام الصهاينة في خلسة، وبصمت دولي مُخزٍ بتدمير غزة وشعبها، كل تلك الأوجاع تجعلني أبتعد كمدًا عن الكتابة عن تلك المآسي لنستعرض اليوم موضوعًا آخر، وهو ظاهرة الطلاق التي أصبحت تهدد كيان الأسر، وتزداد نسب الطلاق بصورة مفزعة في مصر والدول العربية، ويؤكد هذا الإحصائيات المخيفة عن انتشار تلك الظاهرة واستفحالها بسبب الابتعاد عن شرع الله حتى باتت ظاهرة مُدمرة وقاتلة للمجتمع، والله المستعان.

معدلات كارثية للطلاق

قضت حكمة الله تعالى أن تكون الزوجية هي قاعدة بناء الكون كُلِّه، قال الله سبحانه وتعالى: « سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ » (يس:٣٦)، وقال سبحانه: « وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (الذاريات:٤٩)، بها يتم حفظ النوع، واستمرار البقاء في الحياة الدنيا، للقيام بأعباء الخلافة في الأرض وعمارتها، وفق منهج رباني، وتحقيقًا لغاية الوجود الإنساني في التوحيد والعبادة، قال الله تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم:٢١).

ولا تستقر حياة البشرية والمجتمع البشري، ولا تستقيم أموره ما لم يكن هناك نظرة صحيحة مستقرة عن العلاقة بين الذكر والأنثى ووضع ومكانة كل منهما.

ومع غياب تلك المعاني واندثارها بسبب بُعد المسلمين عن تلك التوجيهات الربانية في الحياة الأسرية، فقدت الرحمة والتراحم، والسكينة والمودة والاطمئنان والسكن، وحل محلها الخراب والدمار، والبُغض والكراهية، فكان الملاذ الوحيد لهؤلاء هو «الطلاق».

إن كل إنسان يبحث عن الحياة الأسرية المستقرة الهادئة دون مشاحنات، تسودها السعادة والبهجة والأمن والطمأنينة، ولقد حرص الدين الإسلامي على وحدة الأسرة وعدم تفككها فشرع حلولاً عملية يستهدي بها كل من الزوج والزوجة في حالة استفحال الخلاف والشقاق بينهما، بل لقد أعطى الزوج حلولاً تدريجية تبدأ من الوعظ، وأن يهجر وأن يؤدِّب، وهذا ما يفعله الزوج في حالة وقوع الخلاف حرصًا على بقاء عشرة الزوجية، وحفظ كيان الأسرة سليمًا، أما إذا اشتد الخلاف بينهما فيختار كلٌّ منهما حَكمًا لحل المشكلات الناشئة بينهما.

وقد أمر المولى سبحانه وتعالى الزوج بالصبر حتى مع الكراهية، قال الله تعالى: «فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » (النساء:١٩). وقال صلى الله عليه وسلم: « لا يفرق مؤمن مؤمنة...» الحديث. وإن كان الأمر بالصبر هنا للرجل فهو يلزم المرأة أيضًا.

أمَّا إذا استمر النزاع بين الزوجين مع استنفاد محاولات الصلح، فيكون الموقف بين أمرين؛ أحدهما: استمرار الحياة الزوجية مع وجود الشقاق والخلاف وسوء التفاهم، أو انفصال يجد فيه كل من الزوجين أمرًا آخر، قال الله تعالى: «إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ » (النساء: ٣٥)، « وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ » (النساء: ١٣٠).

وفي الوقت الحاضر كثرت حالات الطلاق حتى صارت ظاهرة، ومع انتشار تلك الظاهرة المخيفة التي أصبحت تنهش في كيان الأسر والمجتمعات، تاركة وراءها آثارًا مدمرة، فإننا نستعرض بالأرقام بعض الإحصائيات عن شيوع تلك الظاهرة في بعض المجتمعات العربية والإسلامية.

- ففي مصر ووفقًا لأحدث الإحصائيات الصادرة عن مركز معلومات دعم واتخاذ القرار بمجلس الوزراء في دراسة بهذا الخصوص عن تفسخ العلاقات الأسرية، وانهيار الروابط العائلية، فقد ارتفعت معدلات الطلاق حتى أصبحت مصر في مرتبة متقدمة من ٧٪ إلى ٤٠٪ خلال الخمسين عامًا الماضية مما يعني وقوع حوالي ٢٤٠ حالة طلاق يوميًّا، بواقع حالة طلاق واحدة كل ٦ دقائق، ووصل عدد المطلقات في مصر حوالي ٢,٥ مليون مطلقة تقريبًا.

وتؤكد الدراسة نفسها إلى أن ٤٠٪ من حالات الزواج قد انتهت بالطلاق، كان نصفها خلال السنة الأولى من الزواج، وأن ٧٠٪ من هذه الحالات من نوعية الزواج الأول، وأن معظم الشريحة العمرية لهذه الحالات لم تتجاوز الثلاثين عامًا.

- وفي المملكة العربية السعودية أوضحت دراسة أجرتها وزارة التخطيط أن نسبة الطلاق ارتفعت في عام ٢٠٠٣م عن الأعوام السابقة بنسبة ٢٠٪، وقد بلغت نسبة الطلاق في العام الماضي بها ٣٥٪.

- وفي الإمارات العربية المتحدة بلغت نسبة الطلاق العام الماضي ٣٦٪، وكانت أعلى معدلات الطلاق في الشريحة العمرية من ٢٠ إلى ٣٠ عامًا؛ حيث بلغت نسبة المطلقين في تلك المرحلة السِّنِّية إلى ٤٢٪ من إجمالي عدد المطلقين، وتنخفض حالات الطلاق بالنسبة للإناث بعد ٣٩ سنة، بينما تصل عند

الرجال إلى معدلات متقاربة بعد سن الـ٥٠ عامًا، ومعظم حالات الطلاق تمت في السنوات الستة الأولى من عمر الزواج.

- وفي الكويت هناك أكثر من ١٥ ألف مطلقة دون الرابعة والعشرين من العمر، وقد بلغت عدد حالات الطلاق اليومي ١٨ حالة طلاق، وبهذا تجاوزت نسبة الطلاق ٤٢٪ حسب إحصائيات وزارة العدل الكويتية.

- وفي قطر أكدت دراسة تناولت ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري أن نسبة الطلاق قد بلغت ٣١,٨٪ عام ٢٠٠٠م، في حين أوضحت دراسة أخرى في عام ٢٠٠٣م وجود ٣١٩ حالة طلاق مقابل ٩٧٨ حالة زواج، وأن أكبر نسبة من المطلقين ٢٧٪ تتركز في الفئة العمرية ٢٥-٢٩ سنة، و١٩٪ تتركز في الفئة العمرية ٣٠- ٤٢ سنة.

- أما في مملكة البحرين، فقد ارتفعت نسبة المطلقات في نهاية عام ٢٠٠٢م لتصل إلى ٣٠٪ مقابل ١٥٪ عام ١٩٩٤م، وتشير الإحصائيات إلى أن عدد حالات الطلاق بين المواطنين من الجنسين قد وصلت إلى ٥٤٣٤ في العام نفسه. (وكالة الأنباء البحرينية).

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا!!

وإذا كنا قد استعرضنا تلك الأرقام والإحصائيات، لنبين الخطر الداهم الذي يهدم كيان الأسر ويهدد السكن، ويبدد السكينة، فكم يكون عدد الأسر المشتتة، أو المهددة بالطلاق الواقفة على حافته، أو تلك الأسر التي تقاوم الوقوع فيه، وما الذي وصل بمجتمعاتنا إلى هذا الوضع المتردي من العلاقات الأسرية؟! فسوف نجد أنه البعد عن الدين؛ حيث إن كثيرًا من الشباب لا يلتزم عند اختيار شريكة حياته بالضوابط التي حثنا عليها رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: «تُنْكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». (رواه البخاري).

ويقول صلى الله عليه وسلم أيضًا: «إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوّجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير». (سنن ابن ماجه ١٩٦٧ وحسنه الألباني).

وقد اشترط الإسلام الزواج بصاحب الدين في كلا الطرفين، على أن يكون هذا الدين عند الرجل مَرْضِيًّا، ثم اشترط خلقه وأمانته، وهي مظهر الدين كله، وأيسرها أن يكون الرجل للمرأة أمينًا على عرضها وكرامتها وفي معاشرتها، فلا يبخسها حقها، ولا يسيء إليها، ولا يفتنها؛ لأن ذلك كله ثَلْمٌ في أمانته، بل إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يبخسها حقها.

وفي ذات الوقت وهي أمينةٌ على ماله وعياله، وعلى نفسها وعفتها كما قال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك». (مسند أحمد بن حنبل ومستدرك الحاكم ٢٦٨٢ وصححه ووافقه الذهبي).

وفي هذا السياق كان توجيه رب العزة سبحانه جل شأنه: «وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ» (البقرة:٢٢١)، فالاختيار الأمثل هو الذي يقوم على أساس الدين والأمانة وحسن الخُلق، ولا بأس أن يأتي بعد ذلك الجمال أو المال أو الحسب والنسب.

فإذا تزوج الرجل المرأة لمحض الجمال، ثم عَرَض لهذا الجمال ما يشوهه، أو تغيرت نظرته للجمال وهو أمرٌ نسبي فما تراه جميلاً اليوم، قد لا تراه جميلاً غدًا، أو قد ترى ما هو أجمل منه، ومن تزوج على أساس المال، وتقلبت الأيام ونفذ المال، أو تزوج لطمع ولم يدركه، فكيف يكون حال هذا الزواج ومآله؟!

أما الرابط الحقيقي والمعدن النفيس الذي لا يصدأ أبدًا، ولا يتحول بتحول الأيام، فهو الإيمان الحقيقي، والدين الصحيح، والخُلق المنبثق من وحي الإسلام وتعاليمه.

فلو أن كل واحد من الزوجين عرف -في ضوء تعاليم ديننا الحنيف- ما له من حقوق وما عليه من واجبات لعاش الجميع حياة آمنة مستقرة لا تعرف القلق والاضطراب، ولا تقفُ عند حافة الهاوية مترقبة، أو متفادية هذا الكابوس المزعج الذي يُدمر أمن الأسر واستقرارها.

وكذلك غياب الدور التوجيهي للآباء

والأمهات؛ حيث يظن بعض الآباء والأمهات أن دورهم التربوي والتوجيهي ينتهي بزواج ابنه أو ابنته، ناهيك عن بعض التوجيهات الخاطئة التي تهدم أو تدمر وتحرّض أحد الطرفين على الآخر، خلافًا لما أمرنا به ديننا من توجيه النصح وفق منهج الإسلام وشريعته، وقد كان السلف الصالح والعقلاء من أمتنا إذا زفوا امرأة إلى بيت زوجها أمروها برعايته، وحسن القيام بحقه، وتعهدوها بنصحهم.

وهذه امرأة جاهلية ولكنها عاقلة أريبة، إنها أمامة بنت الحارث توصي ابنتها فتقول: «إن الوصية لو تُركت لفضل أدب لتركت ذلك لك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خُلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وتركت العُش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا، فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا، واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخرًا.

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحُسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منكِ على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النائم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا، ولا تفشين له سرًا؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتمًا، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا». («مدى حرية الزوجين في الطلاق»، لمحمد أبو زهرة، ص١٠٩).

الاضطرار إلى الطلاق

الأصل في الزواج هو المودة والرحمة، إلاّ أنه تبعًا للطبيعة البشرية في الإنسان، واختلاف الطباع بين الزوجين، فقد يحدث بينهما ما يُعكّر الصفو، ويكدّر الحياة، وتستحيل العشرة، وتتحول الحياة إلى جحيم لا يُطاق، وبدلاً من السكن والمودة والرحمة يصبح الشقاق والخصام، وسوء الأخلاق، ويقع الضرر المحقق على الزوجين أو أحدهما ومعهما الأولاد، ومن حولهما الأهل والأصحاب، وبهذا تفوت الحكمة التي من أجلها شرع الزواج.

يقول ابن قدامة الحنبلي رحمه الله: «فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين، فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة وضررًا مجردًا بإلزام الزوج النفقة والسكنى، وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح لتزول المفسدة الحاصلة منه». (المغني لابن قدامة: ٢٣٨/٨).

الطلاق من حدود الله فلا تتجاوزوه

والطلاق حدٌّ من حدود الله، ومع ذلك فإننا نرى تساهلاً واستخفافًا في كثير من الأزواج بالطلاق، فهناك من يستهتر في حد من حدود الله، ولهذا جاء التحذير من تجاوز حدوده، فقال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٣١).

فيجب على الزوج الخوف من الله، وعدم التساهل في هذا الأمر، وإنه لو فقه الأزواج تلك الأحكام لما رأينا هذه الأرقام المخيفة وهذا التساهل في الطلاق، بل سيخف هذا كثيرًا، وصدق رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم حين قال: « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم» (مستدرك الحاكم ٣١٨ وصححه).

فاللهم بصّرنا بديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، وأحسن ختامنا أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سورة الشورى

الحلقة الخامسة

إعداد/

د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٢٢) ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » **(الشورى ١٧- ٢٢)**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الدين لا يكون إلا وحيا من رب العالمين:

قال الله تعالى: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ» هذه الآية متصلة بما سبق في أول السورة، وهو قوله تعالى: « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» فلم يتبعوك على دين الله الذي شرعه لعباده على ألسنة رسله، فما الذي منعهم من اتباعك؟ هل لهم شركاء شرعوا لهم دينا غير دين الله، فتركوا دين الله إلى ما شرعه لهم شركاؤهم؟! وهو

استفهام إنكار وتوبيخ، لأن الدين لا يكون إلا وحيا أوحاه الله إلى أنبيائه، والتشريع حق له سبحانه، لأنه «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ» [الأعلى: ٢- ٣ ، ولذلك قال تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» [الأعراف: ٥٤ .

«وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» أي: لولا أن الله تعالى قضى وقدر أن الفصل بين عباده يكون يوم القيامة، لقضى بينهم، وفصل بين عباده في الدنيا، بتعذيب الظالمين، وتنعيم المؤمنين. قال تعالى: «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا» [النبأ: ١٧ ، وقال تعالى: «وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» [المرسلات: ١١- ١٥ ، وقال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» [السجدة: ٢٥ ، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [الحج: ١٧

حال الظالمين والمؤمنين يوم الدين:

ثم بين سبحانه ما ينتظر الكافرين يوم الفصل، فقال تعالى: «وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [البقرة: ٢٥٤ .

«تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ» أي تراهم يوم القيامة خائفين أن يقع بهم العذاب، بما كسبت أيديهم في الدنيا مما أسخط الله عليهم، «وَهُوَ» أي العذاب «وَاقِعٌ بِهِمْ» لا محالة،كما قال تعالى: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ» [الطور: ٧- ٨ ، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» [المائدة: ٧٢ .

ثم ذكر الله تعالى نعيم المؤمنين فقال: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» بقلوبهم «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» بجوارحهم، فذلك هو الإيمان التام، «فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ» أي: الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذ من المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى إلا حسنا وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها ووددا، «لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ» فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. «ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ»، وهل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم بقربه في دار كرامته.

«ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أي: هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق، بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه، لأهل الإيمان والعمل الصالح، فهي أجل الغايات، والوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل [تيسير الكريم الرحمن(٦١٠و٦١١).

ما يرجوه النبي صلى الله عليه وسلم من قومه:

«قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»:

قال الرازي-عفا الله عنه-: اعلم أنه تعالى لما أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف العالي وأودع فيه الثلاثة أقسام الدلائل، وأصناف التكاليف، ورتب على الطاعة الثواب، وعلى المعصية العقاب، بين أني لا أطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا عاجلا ومطلوبا حاضرا، لئلا يتخيل جاهل أن مقصود محمد صلى الله عليه وسلم من هذا التبليغ المال والجاه فقال: «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» [مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٩٣).

وقال الطبري-رحمه الله-: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا نبينا للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم

إِلَى مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْه، مِنَ الْحَقِّ الَّذي جِئْتُكُمْ بِه، وَالنَّصِيحَة الَّتِي أَنْصَحُكُمْ، ثَوَابًا وَجزاءً، وَعِوَضًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ تُعْطُونَنِيه، «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»: مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَوَدُّونِي فِي قَرَابَتِي مِنْكُمْ، وَتَصِلُوا رَحِمِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. وبذلك قال غير واحد من السلف:

عَنْ طَاوُسٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلِه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»، قَالَ: سُئِلَ عَنْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ: هُمْ قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ t: عَجِلْتَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ. قَالَ: فَنَزَلَتْ «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قَالَ: إِلَّا الْقَرَابَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَنْ تَصِلُوهَا.

وَعَنْ عُبَيْدٍ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُولُ فِي قَوْلِه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» يَعْنِي قُرَيْشًا. يَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَأَعِينُونِي عَلَى عَدُوِّي، وَاحْفَظُوا قَرَابَتِي، وَإِنَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، أَنْ تَوَدُّونِي لِقَرَابَتِي، وَتُعِينُونِي عَلَى عَدُوِّي.

وَعَنْ قَتَادَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلِه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قَالَ: كُلُّ قُرَيْشٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَرَابَةٌ، فَقَالَ: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَدُّونِي بِالْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. [جامع البيان(٢٣و٢٤/٢٥) .

الجزاء بين العدل والفضل:

«وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا»:

أي من يعمل حسنة «نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» وذلك بتضعيف الأجر والثواب، كما قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» [النساء: ٤٠ ، وقال تعالى: «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ» [الأنعام: ١٦٠ .

«إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل، ولذلك يجزي بالسيئة مثلها، وبالحسنة عشرا إلى سبعمائة أو يزيد، كما قال تعالى: «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» [الأنعام: ١٦٠ .

إبطال ادعاء المشركين كذب النبي الأمين:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِبًا»؟! «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» [الكهف: ٥ ، «فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» لو افتريت عليه كذبا، كما قال سبحانه في موضع آخر: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ» [الحاقة: ٤٤-٤٧ ، ولم يفعل الله تعالى بنبيه شيئا من ذلك، بل حفظه من أعدائه، ونصره عليهم، وجعل العاقبة له، كما قال تعالى: «وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِه»، وقد كان، زهق الباطل الذي كان عليه المشركون، وظهر الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك أكبر شهادة من الله لنبيه بالصدق.

«إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي وسيجزي كلا بما علمه منه.

الحث على المبادرة بالتوبة:

«وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»:

قَالَ الرَّازِي -عَفَا اللهُ عَنْهُ-: اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِبًا»، ثُمَّ بَرَّأَ رَسُولَهُ مِمَّا أَضَافُوهُ إِلَيْه مِنْ هَذَا، وَكَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُمْ قَدِ اسْتَحَقُّوا بِهَذِه الْفِرْيَةِ عِقَابًا عَظِيمًا، لَا جَرَمَ نَدَبَهُمُ اللهُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُ يَقْبَلُهَا مِنْ كُلِّ مُسِيءٍ وَإِنْ عَظُمَتْ إِسَاءَتُهُ، فَقَالَ: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»، [التفسير

الكبير (٢٧/ ٥٩٧) وهذه الآية كقوله تعالى في سورة التوبة: « أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ » [التوبة: ١٠٤.

والتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى بعد معصيته ومخالفة أمره، وحقيقتها: الإقلاع من الذنب، والندم عليه، والعزم على عدم الرجوع إليه. وهذه هي التوبة النصوح التي أمر الله بها في قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ » [التحريم: ٨.

فالواجب على من عصى ربه أن يبادر بالتوبة إليه، فإن الله أمر بالمبادرة بالتوبة، فقال: « قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ » [الزمر: ٥٣- ٥٩.

وقوله تعالى: «وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»، يعني وسيجزيكم به، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، كما قال تعالى: « يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ» [الزلزلة: ٦- ٨ ، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّه، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ». [صحيح مسلم ٢٥٧٧ .

« وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ »:

اختلف العلماء في موقع جملة «الَّذِينَ آمَنُوا» من الإعراب:

فقال بعضهم: هي في موقع المفعول به، والفاعل ضمير عائد على الله سبحانه، والمعنى: ويستجيب الله للذين آمنوا، حذفت اللام تخفيفا كما حذفت في قوله تعالى: « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » [المطففين: ٣ ، أي كالوا لهم.

وقال بعضهم: جملة «الَّذِينَ آمَنُوا» واقعة موقع الفاعل من يستجيب. فالله تعالى رغب عباده في التوبة فاستجاب له الذين آمنوا، ولم يستجب له الكافرون، كما قال تعالى: «إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [الأنعام: ٢٦ .

وقوله تعالى: «وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ» على التقدير الأول يكون المعنى: ويستجيب الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويعطيهم ما سألوا، ويزيدهم من فضله فوق ما سألوا. وعلى التقدير الثاني يكون المعنى: ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم، ويزيدهم ربهم من فضله، كما قال تعالى: « وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا » [مريم: ٧٦ ، وقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ » [محمد: ١٧ .

«وَالْكَافِرُونَ» الذين لم يستجيبوا لربهم، «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ». كما قال تعالى: «لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ » [الرعد: ١٨ .

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

التمويل

إعداد/ **د. علي السالوس**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً عن التورق، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

المبحث الخامس: التورق عند الحنابلة

قال أبو داود: سمعت أحمد سئل عن الرجل يبيع المتاع فيجيئه الرجل يطلب المتاع بنسيئة فيقول: أبيعك بده شازده وده داوزده، قال: لا يعجبني أن يكون بيعه كله هذا في العينة.(أي العشرة أحد عشر ، والعشرة اثنا عشر).

قلت: يقال لها عينة وإن لم يرجع إليه؟

قال: نعم...وإن كان لا يريد بيع المتاع يشتري منك فهو أهون، وإن كان يريد بيعه فهو العينة. (مسائل الإمام أحمد لأبي داود - باب: في العينة، ص١٩٢).

وقد روي عن أحمد أنه قال: العينة أن يكون عند الرجل متاع، فلا يبيعه إلا بنسيئة.فإن باعه بنقد ونسيئة فلا بأس -وقال: أكره للرجل أن لا يكون له تجارة غير العينة، لا يبيع بنقد.

وقال ابن عقيل: إنما كره النسيئة لمضارعتها الربا، فإن الغالب أن البائع بنسيئة يقصد الزيادة بالأجل.

ويجوز أن تكون العينة اسمًا لهذه المسألة وللبيع بنسيئة جميعًا، لكن البيع بنسيئة ليس بمحرم اتفاقا، ولا يكره، إلا أن لا تكون له تجارة غيره (المغني لابن قدامة: ٦/٣٦٣).

وتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحيل الربوية، ومما قاله: ومن ذرائع ذلك: مسألة العينة وهو أن يبيعه سلعة إلى أجل ثم يبتاعها منه بأقل من ذلك. فهذا مع التواطؤ يبطل البيعين؛ لأنها حيلة. وقد روى أحمد وأبو داود بإسنادين جيدين عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله: أرسل الله عليكم ذلا لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم». وإن لم يتواطآ فإنهما يبطلان البيع الثاني سدا للذريعة. ولو كانت عكس مسألة العينة من غير تواطؤ: ففيه روايتان عن أحمد، وهو أن يبيعه حالًا ثم يبتاع منه بأكثر مؤجلًا. وأما مع التواطؤ فربا محتال عليه.

ولو كان مقصود المشتري الدراهم وابتاع السلعة إلى أجل ليبيعها ويأخذ ثمنها. فهذا يسمى: التورق. ففي كراهته عن أحمد روايتان. والكراهة قول عمر بن عبد العزيز ومالك، بخلاف المشتري الذي غرضه التجارة أو غرضه الانتفاع أو القنية فهذا يجوز شراؤه إلى أجل بالاتفاق.

ففي الجملة: أهل المدينة وفقهاء الحديث مانعون من أنواع الربا منعًا محكمًا مراعين لمقصود الشريعة وأصولها. وقولهم في ذلك هو الذي يؤثر مثله عن الصحابة وتدل عليه معاني الكتاب والسنة.

وقد فصل تلميذه العلامة ابن القيم القول في العينة والتورق.

قال عن العينة: روى محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بمطين في كتاب البيوع له عن أنس أنه سئل عن العينة، فقال: إن الله لا يخدع، هذا مما حرم الله ورسوله.

وروى أيضًا في كتابه عن ابن عباس قال: اتقوا هذه العينة، لا تبع دراهم بدراهم وبينهما حريرة.

ثم قال: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأته: أنها دخلت على عائشة هي وأم ولد زيد بن أرقم، وامرأة أخرى، فقالت لها أم ولد زيد: إني بعت من زيد غلاما بثمان مائة نسيئة، واشتريته بست مائة نقدًا، فقالت: أبلغي زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن يتوب، بئسما شريت، وبئسما اشتريت.

رواه الإمام أحمد وعمل به، وهذا حديث فيه شعبة، وإذا كان شعبة في حديث فاشدد يديك به، فمن جعل شعبة بينه وبين الله فقد استوثق لدينه.

بالتورق

الحلقة الرابعة

وبعد أن فصل القول في صحة الخبر سندًا ومتنًا، ودفع جميع الاعتراضات، قال عن التورق: كان شيخنا رحمه الله يمنع من مسألة التورق، وروجع فيها مرارًا وأنا حاضر، فلم يرخص فيها، وقال: المعنى الذي لأجله حرم الربا موجود فيها بعينه مع زيادة الكلفة بشراء السلعة وبيعها والخسارة فيها؛ فالشريعة لا تحرم الضرر الأدنى وتبيح ما هو أعلى منه.اهـ.

وفي موضع آخر ذكر ابن القيم صورًا يخالف فيها الظاهر القصد، ويحكم فيها بالقصد لا بالظاهر، مثل: أن يحلف الرجل على شيء في الظاهر، وقصدُه ونيته خلاف ما حلف عليه، وهو غير مظلوم، فهذا لا ينفعه ظاهرُ لفظه، ويكون يمينه على ما يصدقه عليه صاحبه اعتبارًا بمقصده ونيته.

ومثل: إذا اشترى أو استأجر مكرَها لم يصح، وإن كان في الظاهر قد حصل صورة العقد لعدم قصده وإرادته.

ثم قال: فدل على أن القصد روح العقد ومصححه ومُبطله، فاعتبار المقصود في العقود أولى من اعتبار الألفاظ؛ فإن الألفاظ مقصودة لغيرها، ومقاصد العقود هي التي تراد لأجلها، فإذا ألغيت واعتبرت الألفاظ التي لا تراد لنفسها، كان هذا إلغاء لما يجب اعتباره، واعتبارًا لما قد يسوغ إلغاؤه.

ثم قال: وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عاصرها ومعتصرها، ومن المعلوم أن العاصر إنما عصر عنبًا، ولكن لما كانت نيته إنما هي تحصيل الخمر، لم ينفعه ظاهر عصره، ولم يعصمه من اللعنة لباطن قصده ومراده، فعلم أن الاعتبار في العقود والأفعال بحقائقها ومقاصدها دون ظواهر ألفاظها وأفعالها.

ومن لم يراع القُصُودَ في العقود وجرى مع ظواهرها يلزمه أن لا يلعنَ العاصرَ، وأن يجوز له عصر العنب لكل أحد وإن ظهر له أن قصده الخمر، وأن يقضي له بالأجرة لعدم تأثير القصد في العقد عنده، ولقد صرحوا بذلك، وجوزوا له العصر، وقضوا له بالأجرة.

وختم حديثه بقوله: وقاعدة الشريعة التي لا يجوز هدمها أن المقاصد والاعتقادات معتبرة في التصرفات والعبارات كما هي معتبرة في التقربات والعبادات؛ فالقصد والنية والاعتقاد يجعل الشيء حلالًا أو حرامًا، وصحيحًا أو فاسدًا، وطاعة أو معصيةً، كما أن القصد في العبادة يجعلها واجبة أو مستحبة أو محرمة أو صحيحة أو فاسدة.

ثم قال: ودلائل هذه القاعدة تفوق الحصر. (إعلام الموقعين: ٣/١٢٣-١٢٥).

وسئل شيخ الإسلام عن رجل احتاج إلى مائة درهم، فجاء إلى رجل فطلب منه دراهم، فقال الرجل: ما عندي إلا قماش، فهل يجوز له أن يبيعه قماش مائة درهم بمائة وخمسين إلى أجل؟

فأجاب رحمه الله: الحمد لله رب العالمين، متى قال له الطالب: أريد دراهم، فأي طريق سلكوه إلى أن تحصل له الدراهم، ويبقى في ذمته دراهم إلى أجل - فهي معاملة فاسدة، وذلك حقيقة الربا.

ثم قال: فإذا لم يكن قصده أن ينتفع بالمال، ولا أن يبيعه ليربح فيه، وإنما مقصوده أن يبيعه ويأخذ ثمنه، فهذا مقصوده الربا. ومتى واطأه الآخر على ذلك كان مربيًا. (جامع المسائل: ١/٢٢٣، ٢٢٤).

وأجاب عن سؤال آخر: إذا كان قصد الطالب أخذ دراهم بأكثر منها إلى أجل، والمعطي يقصد إعطاءه ذلك، فهذا ربا لا ريب في تحريمه وإن تحيلا على ذلك بأي طريق كان؛ فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فإن هذين قد قصدا الربا الذي أنزل الله في تحريمه القرآن.

ثم قال: وأهل الحيل يقصدون ما تقصده أهل الجاهلية؛ لكنهم يخادعون الله. (مجموع الفتاوى: ٢٩/٤٣٩-٤٤٠).

تعليق:

ما سمعه الإمام أبو داود من الإمام أحمد يدل على أن ما عرف بعد ذلك بالتورق عده عينة، يشمله الحديث الشريف في النهي عن العينة، الذي رواه في المسند،

وعمل به.

ومما اعتبر عينة عند الإمام أحمد عدم البيع إلا بنسيئة كما جاء في المغني، وفيه: أكره للرجل أن لا يكون له تجارة غير العينة، لا يبيع بنقد.

وكلمة تورق لم أجدها عند ابن قدامة، ولا عند من سبقه بل لم أجدها عند أحد قبل شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي ذكر التورق وأكد تحريمه، ومثله تلميذه ابن القيم باعتباره من الحيل الربوية.

ولم أجد أحدًا من الباحثين ذكر لفظ التورق بمعناه المعروف في عصرنا نقلاً عن أحد قبل ابن تيمية.

ولكن سبق قول الدكتور القري بأن أم المؤمنين عائشة تورقت، وذكر ابن تيمية وابن القيم أن عمر ابن عبد العزيز قال:

التورق آخيّة الربا، وذكر أن إياس بن معاوية أجاز التورق.

وإذا كنا لم نجد كلمة التورق بهذا المعنى في أي كتاب من كتب اللغة، فكيف استخدمت الكلمة في القرن الأول ولم تصل إلى أئمة العرب؟

هذا أمر مستبعد.

فأما ما ذكره الدكتور القري فهو فهم فهمه وليس لفظًا نقله، فقوله: روي أن عائشة رضي الله عنه تورقت، فهذا قول عجيب، فمن الذي روى هذا الرواية؟

قال: أورد الأزهري أنها كانت تأخذ الزرنقة.

قلت: مر معنى كلمة الزرنقة، والتعليق على هذا الذي ليس له سند.

وقول عمر بن عبد العزيز لعل ابن تيمية ذكر بالمعنى لا باللفظ، وهو لم يشر إلى إسناده.

والخبر وجدته في مصنف ابن أبي شيبة ولفظه: انه من قبلك عن العينة فإنها أخت الربا، وذلك كتابه إلى عبد الحميد. (الكتاب المصنف: ٦/٤٨).

وما نسب لإياس موجود في المصنف أيضًا ولكن تحت باب من كره العينة، والأخبار كلها في معنى الباب ما عدا خبر إياس، ففيه أنه كان يرى الودق -بالدال- فالخبر فيه إشكال، وحمل الكلمة على التورق بعيد، حيث إن الكلمة غير مستعملة في ذلك العصر. (انظر: المصنف، ٦/٤٧).

والموسوعة الفقهية الكويتية - على غير عادتها - لم تكن دقيقة في نسبة التورق إلى المذهب الحنبلي، لا إلى ابن تيمية ومن جاء بعده.

ومراجعها كلها ليس منها أي مرجع قبل ابن تيمية، فأقدم مرجع عندها بعد ابن القيم هو كتاب الفروع لأبي عبد الله محمد بن مفلح، المتوفى سنة ٧٦٣هـ؛ أي بعد ابن تيمية بخمس وثلاثين سنة. ولم يكن عند وفاة ابن تيمية قد بلغ عشرين سنة، وإن كان أحد تلامذته.

ومن مراجع الموسوعة المذكورة كشاف القناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي، المتوفى سنة ١٠٥١هـ.

ومن كتب الحنابلة التي ذكرت لفظ التورق كتاب مطالب أولي النهى لمصطفى السيوطي الرحيباني، المتوفى سنة ١٢٤٣هـ.

وهو في شرح غاية المنتهى لمرعي الكرمي، المتوفى سنة ١٠٣٣هـ.

وللأسف أن معظم الباحثين في التورق نقلوا عن هذه الموسوعة، ووقعوا فيما وقعت فيه من أخطاء. ويبدو أن من كتب للموسوعة عن التورق، ومن راجع، أرادوا أن يبيحوا التورق، ولذلك لم يذكروا ما نقلته عن رأي الإمام مالك، والإمام أحمد، وما جاء في كتب الحنفية من المنع، وإنما جاء في الموسوعة عن حكم التورق ما يأتي:

جمهور العلماء على إباحته -سواء من سماه تورقًا وهم الحنابلة، أو من لم يسمه بهذا الاسم وهم من عدا الحنابلة، لعموم قوله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» (البقرة: ٢٧٥)، ولقوله صلى الله عليه وسلم لعامله على خيبر: «بِعْ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِم ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِم جَنِيبًا» ولأنه لم يظهر فيه قصد الربا ولا صورته.

وكرهه عمر بن عبد العزيز، ومحمد بن الحسن الشيباني.

وقال ابن همام: هو خلاف الأولى.

اختار تحريمه ابن تيمية وابن القيم لأنه بيع المضطر، والمذهب عند الحنابلة إباحته.اهـ. (الموسوعة: كلمة «تورق»: ١٤/١٤٧-١٤٨).

وبمراجعة ما نقلته من كتب المذاهب، والربط بين التورق والربا وليس المضطر فقط، كل هذه النقول تثبت أن ما جاء في الموسوعة الكويتية غير صحيح، بل إن ابن تيمية ذكر التورق في حديثه عن الحيل الربوية.

والنقول السابقة توضح رأيه بجلاء في تحريم التورق وليس العينة فقط، وحديث بع الجمع....سيأتي فيه قول الشاطبي وابن القيم، وبيان الفرق بينه وبين الحيل الربوية. وقد سبق بيان ابن القيم غلط المتأخرين على الأئمة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

ليس دفاعاً عن السنة.. ولكن حفظًا لكيان الأمة

الحلقة الثانية

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:

فلقد شرعنا في الحلقة السابقة في تناول حديث العرباض بن سارية رواية وشرحا برواية الترمذي رحمه الله -: عن الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ قال: «وَعَظَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة... الحديث».. وفيه: «فعليكم بسُنَّتي». قال أبو عِيسَى الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وانتهينا إلى أن العلماء حكموا على الحديث بالصحة، والحمد لله، وأن الحديث حجة بنفسه في الأمر باتباع السنة، ثم نواصل في هذه الحلقة عرض أهم ما يُستفاد من الحديث.

بيان: وقد اخترت هذا العنوان (ليس دفاعا عن السنة..) لأبين للقارئ الكريم أن دفاعنا عن السنة في هذه الحلقات ليس لمجرد الدفاع، فالسنة لا تحتاج منا إلى ذلك؛ لأننا عندنا مائة برهان أن الله حفظ السنة الصحيحة كما حفظ القرآن، لكننا أردنا من هذا الدفاع أن نقول: إن الحفاظ على كيان الأمة مرتبط بتمسكها ودفاعها عن سنة نبيها، والحمد لله.

أولاً: نظرة عامة على الحديث:

إن الناظر إلى سياق الحديث المبارك ليرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلنا في هذا الحديث على أهم أصول منهج النجاة في الدنيا والآخرة، وأولها: (تقوى الله) عندما قال لمن سأله الوصية- والكلام للأمة جميعًا-: إن أردتم النجاة فعليكم بتقوى الله التي هي وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ» (النساء: ١٣١) ، والتقوى هي المنهج العام الشامل لكل شرائع الدين من توحيد رب العالمين، واتباع سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فهو منهج النجاة لكم في الدنيا والآخرة، والكلام في معنى التقوى كثير، وكان من أحسن ما قيل فيها: أنها الواقي من معصية الله، وأخذ بعضهم هذا المعنى فقال:

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها ذاك التقي
واصنع كماش فوق
أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة
إن الجبال من الحصى

وأصل آخر من أصول النجاة:

ثم تكلم عن أصل آخر من أصول هذا المنهج الشرعي العام والتي بها تنتظم أمور الحياة واللازمة للاستعداد

ليوم الممات، وهي السمع والطاعة لأولياء الأمور بالمعروف؛ حتى لا تحدث الفوضى ويتصارع الناس وتفسد أولاهم وربما أخراهم؛ بسبب صراعهم وعدم استقرارهم، وقد وجّه القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (النساء: ٥٩).

وفي تعليقه على الحديث يقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ج١ ص٢٦٢): «وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد... إلخ». اهـ.

ولأهمية هذه الوصية:

ولأهمية هذه الوصية وصى النبي صلى الله عليه وسلم بها في حجة الوداع في خطبته بها كما خرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه الألباني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول: «اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة مالكم، وأطيعوا أمرائكم تدخلوا جنة ربكم» [الصحيحة ٨٦٧].

والأصل الثالث: خطورة البدعة الشرعية ومعناها:

ثم أكد الحديث على أصل آخر من أصول منهج النجاة العام والنابع من تقوى الله وهو ترك البدع.

وفي تأصيله لمفهوم البدعة وحكمها يقول ابن رجب (ت٧٩٥هـ): «والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وان كان بدعة لغة، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»... فقوله صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة»، من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»، فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة، وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه». اهـ.

- قال ابن رجب: «وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم... وذكر من الأمور المهمة التي يلونها: الجمعة والجماعة، والعيد، والثغور والحدود، فلا تستقيم الأمور إلا بهم».

ولا يفهم من كلامنا أننا ننكر كل اجتهاد أو عمل مبتدأ، وإنما ننكر منه ما ليس له أصل في الكتاب والسنة، ويقرر هذا المفهوم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في اقتضاء الصراط المستقيم (الجزء ٢ ص ٩٥) بقوله: «وقد عُلم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» لم يرِد به كل عمل مبتدأ، فإن دين الإسلام بل كل دين شرع جاءت به الرسل هو عمل مبتدأ، وإنما أراد ما ابتدأ من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم». (ولمزيد من بحث البدعة يراجع باب السنة لشهر رجب ١٤٣٥هـ بالمجلة).

وإلى هنا قد تتم الفائدة من الحديث، لكن الله عز وجل والذي يوحي إلى نبيه بما يقول يعلم من حال الناس وهو القائل جل ذكره: « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ» (الملك: ١٤) يعلم أن الناس يحتاجون إلى تفصيل بعد إجمال، وإلى حسم للأمور لا يحتاج بعده إلى مقال، وهنا يأتي التأكيد على دور السنة مرة أخرى بأمره صلى الله عليه وسلم باتباعها بقوله: «عليكم بالسنة».

وقد أنكر قوم حجية السنة، وعللوا هذا بعلل كان من أظهرها وأشهرها ما يلي:

١- طعن بعضهم في مفهومها ابتداء فتمسكوا بالمعنى اللغوي الذي هو الطريقة؛ - حسنة كانت أم قبيحة -؛ وذلك ليهدموا مفهوم السنة بالمعنى الشرعي والذي هو طريقة النبي وأصحابه، وبالتالي يهدموا حُجيتها من أصلها، فلا تكون مصدرًا للتشريع مع القرآن، وهي مدرسة بدعية كبيرة قديمة حديثة.

٢- وقال آخرون: نحن نكتفي بالقرآن ففيه غنية وكفاية، وبعضهم جعل

عقله ضابطًا للقبول والرد.

٣- وطرح بعضهم شبهات أخرى عدة نختصر عرضها حين الرد عليها إن شاء الله.

١- ولمناقشة الطائفة الأولى الأخطر نقول: هلا بحثتم مفهوم السنة في اللغة والاصطلاح واستعمال الإسلام لها، وعرفتم كيف استعملها الإسلام بالمعنى اللغوي، ثم استعملها بمعنى اصطلاحي شرعي يتفق مع المعنى اللغوي ويخصصه فيصبح الأخير هو المشروع؟!

معنى السنة في اللغة:

أما السنة في اللغة فتطلق على عدة معان من أكثرها تداولاً، والتي تمسك بها المنكرون للسنة المهمّشين لها: أنها وردت بمعنى الطريقة، سواء حسنة كانت أم سيئة. [ينظر: لسان العرب ١٣ /٢٢٥ .

وقد استعملها الإسلام بهذا الإطلاق في القرآن وفي السنة النبوية على لسان النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى « وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا » (الكهف: ٥٥) أي: تأتيهم طريقة الأولين.

وفي السنة النبوية قال صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع». (مسلم ٢٦٦٩)، أي: لتتبعن طرق من كان قبلكم.

قلت: وعليه فقد أقر الإسلام المعنى اللغوي لهذا المفهوم.

تعريف السنة في الاصطلاح:

يختلف تبعًا لاختلاف أغراض العلماء من بحوثهم حسب تخصصاتهم المختلفة، فيختلف تعريفها عند المحدثين عنه عند الأصوليين، عنه عند الفقهاء، لكنهم في النهاية يلتقون جميعا في معنى واحد كما سيتضح إن شاء الله.

ونكتفي بما ذهب إليه جمهور المحدثين كما قرره ابن رجب في (جامع العلوم والحكم ٢/١٢٠) و ذهب إليه من الفقهاء أيضًا الإمام أبو حنيفة « كما في أصول السرخسي (١/٣١٣): وهي - أي السنة- أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم.

وقد استعمل الإسلام مفهوم السنة أيضا بمعناها الاصطلاحي الشرعي في القرآن وفي السنة النبوية على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك كثير نذكر منه:

١- في القرآن:

لقد ذُكرت السنة في القرآن الكريم كثيراً بلفظ الحكمة، قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ » (الجمعة:٢)

قال الحسن وقتادة: الكتاب: هو القرآن، والحكمة هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (انظر: الفقيه والمتفقه ١/٨٨).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: «ذكر الله الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سُنة رسول الله». [الرسالة ص ٧٩، ٧٨ .

قلت: وفي ذلك رد من قال: إن السنة بمعناها الاصطلاحي الشرعي لم تُذكر في القرآن؛ ليهدمها من جذرها وينفي حجيتها.

٢- في السنة النبوية:

ورد لفظ السنة كثيراً على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك على ألسنة الصحابة، وهي تعني عندهم الطريقة المشروعة المتبعة في الدين، والمنهج النبوي الحنيف، والشواهد على هذا كثيرة جداً، منها:

- حديث العرباض الذي بين أيدينا: وعليه علق المباركفوري في تحفة الأحوذي (ج ٣ ص ٤٠) قال: قال القاري في المِرْقَاة: «فعليكم بسنتي: أي طريقتي وسيرتي القويمة التي أنا عليها، مما فصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية، الواجبة والمندوبة وغيرها».

- عن حذيفة قال: «حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- من خطورة البدع: أنها نوع من أنواع الخروج على المنهج النبوي بالرأي المخالف له، فبسببها يقع التخلف عن التزام هدي الكتاب والسنة وفهوم الراسخين من الأئمة، ومن ثم فلا يتصور وحدة للأمة واجتماعها إلا على الكتاب والسنة، وليس على هذه البدع مهما ادعى أصحابها.

- حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة....» [البخاري رقم (٦٤٩٧) .

وفي تعليقه عليه قال ابن حجر في (فتح الباري: ١٣/ ٣٩): قوله: (ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة): فيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم واجباً كان أو مندوباً).اهـ.

قلت: ومن الحديثين السابقين وغيرهما الكثير ظهر لنا أن لفظ (السنة) بمعناها الشرعي الواسع كان معلوما للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح عليهم رضوان الله فلا يبقى حجة لمن حصر معناها في المعنى اللغوي أنها طريقة حسنة أو قبيحة لينفي حجيتها.

وخلاصة القول:

إن السنة معناها في اللغة «الطريقة» سواء كانت سيئة أو حسنة، وقد استعملها الإسلام بمعناها اللغوي كما رأينا في الآيات والأحاديث السابقة، ثم خصصها الإسلام بطريقة النبي وطريقة أصحابه كما ورد في تعريف السنة اصطلاحاً، ودليل التخصيص هو ورودها بهذا المعنى الشرعي في القرآن وفي الأحاديث النبوية كما سبق عرضه، فهذه الكلمة انتقلت من معناها اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي (سنة رسول الله الشاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته...) وهي بهذا المعنى مصدر تشريعي ملازم للقرآن الكريم لا ينفك أحدهما عن الآخر..

والسؤال: إذا وردت الكلمة بمعنيين معنى لغوي وآخر شرعي كيف نجمع بينهما عند التعارض؟!

الجواب: في جوابه على ذلك يقول أبو هلال العسكري في كتابه معجم الفروق اللغوية ص١٩: أن الاسم الشرعي: ما نُقل عن أصله في اللغة فسمى به فعل أو حكم حدث في الشرع نحو الصلاة والزكاة والصوم والكفر والإيمان والإسلام، وما يقرب من ذلك، وكانت هذه أسماء تجري قبل الشرع على أشياء، ثم جرت في الشرع على أشياء أخر، وكثر استعمالها حتى صارت حقيقة فيها، وصار استعمالها على الأصل مجازاً، ألا ترى أن استعمال (الصلاة) اليوم في الدعاء مجاز، وكان هو الأصل» ا.هـ.

قلت: وكلام أبي هلال السابق ذكره يحتاج إليه إذا توهم التعارض بين المعنيين.

والحق أنه لا تعارض بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لمن كان له قلب

فبالنظر نجد أن الاستعمال اللغوي والاستعمال الاصطلاحي الشرعي للسنة مؤداه في النهاية إلى معنى واحد جامع لكلا المعنيين وهو الطريقة المتبعة في الدين والتي تماثل ما كان عليه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهذا في حقيقته هو المعنى الاصطلاحي والذي يشتمل في طياته على كل التعاريف الاصطلاحية للعلماء إلا أن أهل كل اختصاص قد نظروا إلى السنة من الزاوية التي تعنيهم من حيث تخصصهم وموضوع علمهم؛ لأن سنة المصطفى من قول، أو فعل، أو تقرير أو... إلخ. طريقة متبعة عند المؤمنين ليس لهم خيرة في أمرهم، كما قال رب العزة «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا» (الأحزاب: ٣٦) ، وانظر: الحديث النبوي للدكتور محمد الصباغ ص١٣٩).

وختامًا: ومن كل ما سبق تبين لنا أنه لا حجة لكل من ادعى من منكري السنة من أن مفهوم السنة بمعناها الاصطلاحي الشرعي - والذي هو حجة وواجب الاتباع - لا أصل له في الدين كما ادعى المستشرقون ومن سار على دربهم من المخالفين، بل وتبين لنا عكس كلامهم من حجية السنة النبوية، وتأصيل المفهوم الشرعي لها من لدن نبينا صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا القدر الكفاية، والله أسأل أن يهدينا وإياهم إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

- وفي ختام هادئ نقول: أليس في كل ما عرض رد على شبهات المنكرين لحجية السنة؟ أمثال المستشرق المجري اليهودي جولد تسيهر في كتابه (العقيدة والشريعة) والذي تبعه فيه جميع المقلدين له في القديم والحديث من تمسك بالمعنى اللغوي فقط أو بعض المعاني الاصطلاحية التي تخدم إنكارهم؟!

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٢٧)

إعداد / **علي حشيش**

٢٥٩- « مَنْ حَجَّ حَجَّةَ الإِسْلامِ، وَزَارَ قَبْرِي، وَغَزَا غَزْوَةً، وَصَلَّى عَلَيَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَمْ يَسْأَلْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِ ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الفتح الأزدي في «فوائده» من حديث عبد الله بن سعود مرفوعًا كذا في «لسان الميزان» (١/٨) (١٣/١٥٣٥)، وفيه بدر بن عبد الله أبو سهل المصيصي قال الذهبي في «الميزان» (١/٣٠٠/١١٣٥): «بدر بن عبد الله المصيصي عن الحسن بن عثمان الزيادي بخبر باطل وعنه النعمان بن هارون». اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان»: والخبر المذكور أخرجه أبو الفتح الأزدي في الثامن من «فوائده»، ثم ذكره بسنده، وبنفس هذا التخريج والسند أورده ابن عبد الهادي في «الرد على السبكي» (ص١٥٥)، ثم قال: «هذا الحديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ريب عند أهل المعرفة بالحديث وأدنى من يعد من طلبة هذا العلم يعلم أن هذا الحديث مختلَق مفتعَل ثم قال: والحمل في هذا الحديث على بدر بن عبد الله المصيصي». اهـ.

٢٦٠- «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْمَلَهُمُ اللهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ».

الحديث لا أصل له: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/٢٤٢) مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».

٢٦١- « إِنَّ آدَمَ أَتَى الْبَيْتَ أَلْفَ أَتيَةٍ لَمْ يَرْكَبْ قَطُّ فِيهِنَّ مِنَ الْهِنْدِ عَلَى رِجْلَيْهِ ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/٢٤٥) (٢٧٩٢) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفيه القاسم بن عبد الرحمن، قال ابن خزيمة: «وفي القلب منه شيء»، وقال ابن معين: «ضعيف جدًّا»، نقله الذهبي في «الميزان» (٣/٣٧٤/٦٨٢٠)، وهو القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري وساق له الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٥٤١) (٢١/٦٦٣٨) هذا الحديث، ونقل كلام ابن خزيمة المذكور وأقره، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/١٦٧): «والقاسم هذا واه». اهـ.

٢٦٢- «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُخَرِّبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِي فَخَرَّبْتُهُ، ثُمَّ أُخَرِّبُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِه».

الحديث لا أصل له: أورده الغزالي في «الإحياء» (١/٢٤٣) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «ليس له أصل». اهـ.

٢٦٣- « مَنْ تَزَوَّجَ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ فَقَدْ بَدَأَ بِالْمَعْصِيَةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٣٦٤) (١٩٣/١٩٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، قال الشوكاني في «الفوائد» (ص١٠٣): «وفي إسناده أحمد بن جمهور يروي الموضوعات» قال المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد»: «والسند كله تالف إلى التابعي».

٢٦٤- « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ دَرَجَةٍ ».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٣/٤) (ح٥٦٢٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وفيه إسماعيل الشامي متهم بالكذب، وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١٧٥/٢) كتاب «الحج» (١٨).

٢٦٥- « لا يَجْتَمِعُ مَاءُ زَمْزَمَ وَنَارُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَمَا طَافَ عَبْدٌ بِالْبَيْتِ إلا وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ يَضَعُهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، فَإِنْ صَلَّى عُدِلَتْ صَلاتُهُ بِأَرْبَعَةِ آلافِ حَسَنَةٍ وَخَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ حَسَنَةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عباس مرفوعًا كما في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١٧٥/٢) كتاب «الحج» (ح٢١) لابن عراق، وقال: فيه مقاتل بن سليمان ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٧٤١/١٧٣/٤) ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: قال الجوزجاني: «كان دجالا»، وقال وكيع: «كان كذابًا»، وقال النسائي: «كان مقاتل يكذب»، وقال يحيى بن معين: «ليس حديثه بشيء». اهـ.

قلت: والحديث في «فردوس الأخبار» (ح٧٩٦٥) لأبي شجاع الديلمي والد أبي منصور الديلمي صاحب «المسند».

٢٦٦- «الحَجّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد» (ص١٠٤) كتاب «الحج» ح(٥) ثم نقل عن الإمام الصغاني أنه قال: «هذا حديث موضوع».

٢٦٧- « مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، وَشَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ بَالِغَةً مَا بَلَغَتْ».

الحديث لا يصح: أخرجه الواحدي في «تفسيره»، والجندي في «فضائل مكة» من حديث أبي معشر المدني عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا كذا في «المقاصد» (ح١١٤٤) وآفته أبو معشر ذكره الذهبي في «الميزان» (٩٠١٧/٢٤٦/٤)، قال البخاري: «منكر الحديث»، ثم ذكر أن يحيى بن سعيد كان يستضعفه جدًا، ويضحك إذا ذكره، ثم قال الحافظ السخاوي في «المقاصد» أيضًا: «وقد ولع بهذا الحديث العامة كثيرًا، لا سيما بمكة بحيث كُتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم، وتعلقوا في ثبوته بمنام وشبهة مما لا تثبت الأحاديث النبوية بمثله». اهـ.

٢٦٨- « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا أَشْفَقَ مِنَ الْحَاجَةِ أَنْ يَنْسَاهَا رَبَطَ فِي يَدِهِ خَيْطًا لِيَذْكُرَهَا» .

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/٣، ٧٩١/٥٩)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٦٥٤/١٥٢/٢) عن سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، قال العقيلي: هذا من حديث سالم بن عبد الأعلى أبي الفيض لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به، قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٠): «سالم بن عبد الأعلى أبو الفيض عن نافع تركوه». اهـ.

وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٣٠)، سالم بن عبد الأعلى: «متروك الحديث». قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه؛ حيث بيّنه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

وكل الأحاديث التي يربط فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم خيطًا في يده أو أصبعه أو يربط خاتمه خيطًا حتى لا ينسى، لا تصح، ولقد ذكر طرفها ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٢٩٢/٢) وقال: «لا يصح شيء منها».

عذاب القبر ونعيمه

الحلقة الثانية

إعداد/ **صلاح نجيب الدق**

الْحَمْدُ لِلَّه، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فنواصل الحديث في الرد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عقيدة السلف الصالح في عذاب القبر ونعيمه بعد أن ذكرنا الأدلة من القرآن والسنة في الحلقة الماضية:

اتفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ على وجوب الإيمان بعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي جـ٢صـ١٦٣).

وسوف نذكر بعض أقوال سلفنا الصالح.

(١) أبو هريرة (رَضِيَ الله عَنْهُ):

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُصَلِّي عَلَى الْمَنْفُوسِ (الجنين السقط) الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» (مصنف عبد الرزاق جـ٣صـ٥٣٣. حديث: ٦٦١٠).

(٢) أَنَس بْن مَالك (رَضِيَ الله عَنْهُ):

عَنْ عَبْدِ اللهِ الدَّانَاجِ قَالَ: شَهِدْتُ أَنَسَ بْنَ مَالك، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، " إِنَّ قَوْمًا يُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ قَالَ: فَلَا تُجَالِسُوا أُولَئِكَ " (إثبات عذاب القبر للبيهقي صـ١٣٥. حديث: ٢٣٥).

(٣) قَالَ الإمامُ الشافعي (رحمه الله):

عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق. (اعتقاد أئمة السلف. لمحمد الخميس. ٤٣).

(٤) الإمامُ أحمد بن حنبل:

قَالَ حَنْبَلُ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ. فَقَالَ: هَذِهِ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُقِرُّ بِهَا، كُلَّمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْنَادٌ جَيِّدٌ أَقْرَرْنَا بِهِ، إِذَا لَمْ نُقِرَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَدَفَعْنَاهُ وَرَدَدْنَاهُ، رَدَدْنَا عَلَى اللهِ أَمْرَهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) (الحشر: ٧).

قُلْتُ وَعَذابُ الْقَبْر حَقٌّ؟ قَالَ: حَقٌّ يُعَذَّبُونَ فِي الْقُبُور. (الروح لابن القيم صـ٧٧).

قَالَ حَنْبَل: سَمِعْتُ أبَا عَبْد الله، أحْمَدَ بنَ حَنْبَل يَقُولُ: نُؤْمِنُ بعذاب الْقَبْر وَبِمُنْكَر وَنَكير وَأنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ فِي قَبْره فَيُثَبِّتُ الله الَّذينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابت فِي الْحيَاة الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة فِي الْقَبْر. (الروح لابْن القيم صـ٧٧).

(٥) قَالَ الإمامُ البخاري (رحمه الله):

بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذاب القَبْر. وَقَوْلُهُ تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ) (الأنعام: ٩٣)، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذكْرُهُ: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (التوبة: ١٠١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ) (غافر: ٤٦: ٤٥) (البخاري - كتاب الجنائز باب-٨٦).

قَالَ الإمامُ ابنُ حجر العسقلاني (رحمه الله): قَدَّمَ الإمامُ البخاريُّ ذكْرَ هَذه الآيَات ليُنَبِّهَ عَلَى ثُبُوت ذكْر عَذاب الْقَبْر فِي الْقُرْآن خلافًا لمَنْ رَدَّهُ، وَزَعَمَ أنَّهُ لَمْ يَرِدْ ذكْرُهُ إلاَّ منْ أخْبَار الآحَاد. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ٣صـ٢٧٥).

(٦) قال الإمامُ مسلم (رحمه الله):

بَابُ عَرْضِ مَقْعَد الْمَيِّت منَ الْجَنَّة أَو النَّار عَلَيْه، وَإثْبَات عَذَاب الْقَبْر وَالتَّعَوُّذ منْهُ. (مسلم - كتاب صفة القيامة - باب: ١٧).

(٧) قَالَ الإمامُ أبو جعفر الطحاوي (رحمه الله):

نُؤْمنُ بعَذَاب الْقَبْر لمَنْ كَانَ لَهُ أهْلاً، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكير فِي قَبْره عَنْ رَبِّه وَدينه وَنَبِيِّه، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأخْبَارُ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، وَعَن الصَّحَابَة رضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ. وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ منْ ريَاض الْجَنَّة، أوْ حُفْرَةٌ منْ حُفَر النِّيرَان) (شرح الطحاوية جـ٢صـ١٥٧).

(٨) قال الإمامُ البيهقيُّ (رحمه الله):

بَابُ مَا يَكُونُ عَلَى الْمُنَافقينَ منَ الْعَذاب فِي الْقَبْر قَبْلَ الْعَذاب فِي النَّار. قَالَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) (التوبة: ١٠١) (إثبات عذاب القبر للبيهقي صـ٥٦).

(٩) قَالَ الإمامُ ابنُ حزم (رحمه الله):

(قَالَ الله تَعَالَى فِي آل فرْعَوْن (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ) (غافر ٤٦: ٤٥).

فَهَذَا الْعرْضُ هُوَ عَذَاب الْقَبْر، وَإنَّمَا قيل عَذَاب الْقَبْر فأضيف إلَى الْقَبْر؛ لأن الْمَعْهُود فِي أكثر الْمَوْتَى أنهم يقبرون، وَقد علمنَا أن فيهم أكيل السَّبع والغريق تَأْكُلُه دَوَاب الْبَحْر والمحرق والمصلوب وَالْمُعَلق، فَلَو كَانَ على مَا يقدر من يظنّ أنه لا عذاب إلا فِي الْقَبْر الْمَعْهُود لما كَانَ هَؤُلَاء فتْنَة وَلا عَذَاب قبر وَلا مَسْأَلَة ونعوذ بالله من هَذَا، بل كل ميت فَلا بُد من فتْنَة وسؤال وَبعد ذَلك سرُور أو نكد إلَى يَوْم الْقيَامَة فيُوَفَّوْنَ حينَئذ أُجُورهم وينقلبون إلَى الْجنَّة أو النَّار). (الفصَل فِي الملل والنحل لابن حزم جـ٤صـ٥٦).

(١٠) قَالَ الإمامُ عبد الغني المقدسي (رحمه الله):

(الإيمانُ بعذاب القبر حقٌ واجبٌ، وفرضٌ لازمٌ. رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم، عليّ بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو بكرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأختها أسماء، وغيرهم. (الاقتصاد في الاعتقاد - لعبد الغني المقدسي صـ١٧٤: ١٧٢).

(١١) قال الإمامُ النووي (رحمه الله):

(مَذْهَبُ أَهْل السُّنَّة إثْبَاتُ عَذَاب الْقَبْر، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَيْه دَلائلُ الْكتَاب وَالسُّنَّة. قَالَ الله (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ) (غافر ٤٦: ٤٥)، وَتَظَاهَرَتْ به الأحَاديثُ الصَّحيحَةُ عَن النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ روَايَة جَمَاعَة من الصَّحَابَة فِي مواطن كثيرة ولا يمتنع فِي الْعَقْل أنْ يُعيدَ الله تعالى الْحيَاةَ فِي جُزْء منَ الْجسَد وَيُعَذّبُهُ وإذا لَمْ يَمْنَعْهُ الْعَقْلُ وَوَرَدَ الشَّرْعُ به وَجَبَ قَبُولُهُ وَاعْتقَادُهُ). (مسلم بشرح النووي جـ٩صـ٢٢٣).

قال الإمامُ النووي (رحمه الله) أيضاً: (الْمُعَذَّبُ عنْدَ أَهْل السُّنَّة الْجَسَدُ بعَيْنه أوْ بَعْضُهُ بَعْدَ إعَادَة الرُّوح إليْه أوْ إلى جُزْء منْهُ). (مسلم بشرح النووي جـ٩صـ٢٢٤).

(١٢) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَيَّان (رحمه الله):

الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ قَدِ اسْتَفَاضَتْ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، فَوَجَبَ الْقَوْلُ بِهِ وَاعْتِقَادُهُ. (التفسير المحيط جـ١صـ٢١١).

(١٣) قال الإمامُ القرطبي (رحمه الله):

الإيمـانُ بعذاب القبر وفتنته (أي: الاختبار فيه بسؤال الملكين): واجبٌ، والتصديقُ به لازمٌ، حَسْبَ ما أخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى يحيي العبدَ المكلَّفَ في قبره، برد الحياة إليه ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يُسأل عنه وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أُعدَّ له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السُّنَّة، والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم غير ما ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم. (التذكرة للقرطبي صـ١٠٦).

(١٤) قال الإمام ابن تيمية (رحمه الله):

(أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). (مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٤صـ٢٨٥).

وسُئِلَ ابنُ تيمية (رحمه الله) عَنْ "عَذَابِ الْقَبْرِ". هَلْ هُوَ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ أَوْ عَلَى النَّفْسِ؛ دُونَ الْبَدَنِ؟

فأَجَابَ (رحمه الله): الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. (مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٤صـ٢٨٢).

(١٥) قَالَ الإمَامُ ابْنُ الْقَيِّم (رحمه الله):

إنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ البرزخ، فَكُلُّ مَن مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِرَ أو لم يُقبر، فلو أكلته السباعُ أو أُحرِقَ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ونسف في الْهَوَاء أو صُلِبَ أو غرق في الْبَحْرِ، وصل إلى روحه وبدنه من الْعَذَاب مَا يصل إلى الْقُبُور. (الروح لابن القيم صـ٧٨).

(١٦) قال الإمامُ ابنُ أبي العز الحنفي (رحمه الله):

(قَدْ تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِهِ، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ، لِكَوْنِهِ لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَةً غَيْرَ الإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي الدُّنْيَا. وَسُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، وَكَذَلِكَ عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنْعَمُ الرُّوحُ وَتُعَذَّبُ مُفْرَدَةً عَنِ الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَةً بِهِ). (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي جـ٢صـ١٦٣).

(١٧) قَالَ الإمامُ الشوكاني (رحمه الله):

(تَوَاتَرَتْ بِعَذَابِ الْقَبْرِ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ الآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ). (فتح القدير للشوكاني جـ١صـ١٨٤).

(١٨) قَالَ الإمامُ حافظ حكمي (رحمه الله):

(نُصُوصُ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَدْ بَلَغَتْ فِي ذَلِكَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، إِذْ رَوَاهَا أَئِمَّةُ السُّنَّةِ وَحَمَلَةُ الْحَدِيثِ وَنُقَّادُهُ عَنِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ وَالْجَمْعِ الْكَثِيرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُهُ عَبْدُ اللهِ وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ وَأُمُّ خَالِدٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَأَبُو بَكْرَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبُوهُ عَمْرٌو وَأُمُّ مُبَشِّرٍ وَأَبُو قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو طَلْحَةَ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنَةَ وَتَمِيمٌ الدَّارِيُّ وَحُذَيْفَةُ وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ). (معارج القبول لحافظ حكمي جـ٢صـ١١٧).

(١٩) قال الإمامُ الألباني (رحمه الله):

عَذَابُ الْقَبْرِ ثَابِتٌ كِتَابًا وَسُنَّةً وَبِإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ. (السلسلة الصحيحة للألباني جـ٧صـ: ٨٨٤).

وقال أيضًا- بعد أن ساق عدة أحاديث عن عذاب

القبر ونعيمه-: في هذه الأحاديث فوائد كثيرة منها:

إثبات عذاب القبر، والأحاديث في ذلك متواترة، فلا مجال للشك فيه بزعم أنها آحاد! ولو سلمنا أنها آحاد فيجب الأخذ بها لأن القرآن يشهد لها، قال تعالى: (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ) (غافر ٤٦: ٤٥). ولو سلمنا أنه لا يُوجد في القرآن ما يشهد لها، فهي وحدها كافية لإثبات هذه العقيدة، والزعم بأن العقيدة لا تثبت بما صح من أحاديث الآحاد زعمٌ باطلٌ دخيلٌ في الإسلام، لم يقُل به أحدٌ من الأئمة الأعلام كالأربعة وغيرهم، بل هو مما جاء به بعضُ علماء الكلام، بدون برهانٍ من الله ولا سلطان. (السلسلة الصحيحة للألباني جـ١صـ٢٩٥: ٢٩٤).

وقال أيضًا: إنَّ سُؤالَ الملكين في القبر حقٌ ثابتٌ، فيجب اعتقاده أيضًا، والأحاديث فيه أيضًا متواترة. (السلسلة الصحيحة للألباني جـ١صـ: ٢٩٧).

صور من عذاب القبر:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ (الحديدة التي يُؤْخَذُ بها اللحم ويعلق) يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ (جانب فمه) حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ (يُشفى) شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ (بحجر ملء الكف) - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ (يكسر) بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ (تدحرج) الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ.

قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ، وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ.

فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ.

أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَالصِّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فَأَوْلاَدُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالاَ: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ" (البخاري حديث: ١٣٨٦)

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين.

وسائل التربية

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

١- التربية بالقدوة

القدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعًا، وأقربها للنجاح من السهل تأليف «كتاب في التربية» من السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول...

ولكن هذا المنهج يظل حبرا على ورق، يظل معلقا في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ ولقد علم الله – سبحانه – وهو يشرع ذلك المنهج العلوي المعجز أنه لا بد من ذلك للبشر، لا بد من قلب إنسان يحمله ويحوله إلى حقيقة، لكي يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه، لا بد من قدوة.

لذلك بعث الله محمدا- صلى الله عليه وسلم- ليكون قدوة للناس: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»، وجعل في شخصه -صلى الله عليه وسلم- الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: «كان خُلُقُهُ القرآن» ، إجابة دقيقة عجيبة مختصرة شاملة.. كان خلقه القرآن! كان الترجمة الحية لروح القرآن وحقائقه وتوجيهاته.

« ينتقل تأثير القدوة إلى المقتدى على أشكال أهمها:

التأثير العفوي غير المقصود:

وهنا يقوم تأثير القدوة على مدى اتصافه بصفات تدفع الآخرين إلى تقليده كتفوقه بالعلم، أو بالرئاسة، أو الإخلاص أو.. وفي هذه الحال يكون تأثير القدوة عفويا غير مقصود، وهذا يعني أن على كل من يرجو أن يكون قدوة أن يراقب سلوكه، ويعلم أنه مسئول أمام الله في كل ما يتبعه الناس، أو يقلده المعجبون، وكلما ازداد حذرًا وإخلاصًا ازداد الإعجاب به، فتزداد فائدته وأثره الطيب في النفوس.

التأثير المقصود:

على أن تأثير القدوة قد يكون مقصودًا. فيقرأ العلم قراءة نموذجية ليقلده الطلاب، ويجوّد الإمام صلاته ليعلم الناس الصلاة

كاملة، ويتقدم القائد أمام الصفوف في الجهاد ليبث الشجاعة والتضحية والإقدام في نفوس الجند وهكذا.

وقد تعلم الصحابة كثيرا من أمور دينهم بطلب من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدوا به فكان يقول لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»

وكان يأمرهم في الحج أن يقتدوا به قائلا: «خذوا عني مناسككم»

ثم كان الصحابي يقول للتابعين: « ألا أصلي لكم صلاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-» . وصلى -صلى الله عليه وسلم- على المنبر، وفى رواية: أنه ذو ثلاث درجات فقام عليه، فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم ركع وهو عليه ثم رفع فرجع القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد فصنع فيها كما صنع في الركعة الأولى حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: « يأيها الناس!إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي «

وروى البخاري ومسلم أنه كان -صلى الله عليه وسلم- يُسمعهم الآية أحيانا في صلاة الظهر - على أنها سرية -، أنهم كانوا يسمعون منه النغمة في الظهر ب»سبح اسم ربك الأعلى» و»هل أتاك حديث الغاشية».

وهكذا علمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رائد التربية الإسلامية أن يقصد المربي إلى تعليم طلابه بأفعاله، وأن يلفت نظرهم إلى الاقتداء به، لأنه إنما يقتدي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأن يحسن صلاته وعبادته وسلوكه بهذا القصد، فيكسب ثواب من سن سنة حسنة إلى يوم القيامة، وهكذا يظهر بجلاء أن التربية بالقدوة من أنجح وأنفع وسائل التربية، فليس أقوى في دفع الولد أو التلميذ إلى الحرص على صلاة الجماعة من رؤيته والده أو شيخه وهو يعظم صلاة الجماعة، فيتهيأ لها قبل الأذان، ويدخل المسجد، ويحرص على تكبيرة الإحرام، والوقوف في الصف الأول، وكذا يدفعه إلى الصدق ما يرى من صدق والده وشيخه ونفورهما عن الكذب.

أما من يفتح عينيه على كذب والده، ومن يقتدي به، فمهما لقنه من آيات وأحاديث في فضل الصدق فإن هذا التلقين لا يفيده كثيرا؛ لأن من يلقنه من أبعد الناس عنه، وأنفر الناس منه، لذا كان على الوالد والمربي أن يتكلف الاستقامة والصدق والأمانة والورع والديانة، لا يقصد الرياء والسمعة، وإنما بقصد تعليم من يقتدي به وينظر إليه، فإذا نصحه بنصيحة كان أحرص الناس على العمل بها، وإذا نفر من خصلة سيئة كان أبعد الناس عنها، كما قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ » (الصف: ٢، ٣).

وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: «وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ » [هود: ٨٨ ، وقال تعالى: « أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » [البقرة: ٤٤ .

وعن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان! ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان ما ملخصه:

وما أعظم موقف عمر حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم: « أما بعد: فإني سأعود الناس إلى كذا وكذا، وأنهاهم عن كذا وكذا، وإني أقسم بالله العظيم لا أجد واحدًا منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكالا شديدا »، ثم يخرج ويدعو الناس إلى الخير، فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة، لإعطائهم القدوة بفعله قبل إعطائهم إياها بقوله.

فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعا أن

التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد، بل هي الأساس في ترقيته نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة.

وبدون هذه القدوة لا ينفع مع أولادكم، ولا تؤثر بهم موعظة، فاتقوا الله - أيها المربون - بأولادكم، وكونوا معهم على مستوى المسئولية لتروا فلذات الأكباد شموس إصلاح، وأقمار هداية، يستضئ أبناء المجتمع بنورهم، ويتأسون بمحاسن أخلاقهم، ويرتشفون من معين آدابهم، ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

وقد تنبه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا عمرو بن عتبة ينبه معلم ولده لهذا الأمر، فيقول: « ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت»؛ فالأطفال لا يدركون المعاني المجردة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي، بل لا بد من المثال الواقعي المشاهد.

وبهذا يظهر أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة الصالحة، التي تمثل الأوامر وتستجيب لها، وتنزجر عن النواهي وتمتنع عنها.

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان:

« ومن هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعهم بإحسان انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها، والتاريخ سطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان وجزر أكديف ومالاديف في المحيط الهندي، وإلى التبت وإلى سواحل الصين، وإلى الفلبين، وجزر إندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو، ووصل إلى أواسط إفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا ومدغشقر وزنجبار وغيرها من البلاد، وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار مسلمين، ودعاة صادقين، أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم، وأمانتهم، وصدقهم، ووفائهم...

ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، فدخل الناس في دين الإسلام أفواجا، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وإيمان ورغبة، ولولا أن يتميز هؤلاء التجار بأخلاقهم ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم ويعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم لما اعتنق الملايين من البشر الإسلام، ولما دخلوا في هديه ورحمته.

ونخلص مما تقدم إلى أن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والنفوس، ومن أعظم الأسباب في نشر الإسلام في البلاد البعيدة، وأصقاع المعمورة، وفى هداية البشرية إلى سبيل الايمان وطريق الإسلام، فما أجدر الجيل الإسلامي اليوم برجاله ونسائه، وكباره وصغاره، أن يفهموا هذه الحقيقة! وأن يعطوا لغيرهم القدوة الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والسمعة الحسنة، والمعاملة الطيبة، والصفات الإسلامية النبيلة ليكونوا دائما في العالمين أقمار هداية، وشموس إصلاح، ودعاة خير وحق، وأسباب نشر وامتداد لرسالة الإسلام الخالدة».

وقال في « تربية الأولاد »

« إذن لا بد من قدوة صالحة لنجاح التربية ونشر الفكرة »، ولا بد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين، وتنجذب لجماله النفوس.

ولا بد من أخلاق فاضلة، يستمد المجتمع منها الخير، وتترك في الجيل أفضل الأثر، ومن هنا كان حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على أن يظهر المربي أمام من يقوم على تربيته، بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء، حتى يشب الولد منذ نشأته على الخير، ويتخلق منذ نعومة أظفاره على الصفات الفاضلة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ميلاد جديد.. وصحيفة بيضاء

إعداد/ **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبيَّ بعده، نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، وبعدُ:

فلقد مرَّت على المسلمين قبل أيام عبادة من أجل العبادات، ومناسبة من أعظم المناسبات، هي ميلاد جديد، وعهد سعيد، إنها مناسبة الحج إلى بيت الله الحرام، أقبلوا فيها على ربهم جلَّ في علاه، مهللين مكبرين، داعين ومستغفرين، راجين من الله الرحيم أن يمحو عنهم السيئات، ويرفع لهم الدرجات، كما وعدهم بذلك على لسان رسوله الكريم: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». (البخاري: ١٨١٩، ومسلم: ١٣٥٠).

ولم يرد لهم ثوابًا إلا الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». (البخاري: ١٧٧٣، ومسلم: ١٣٤٩).

والآن قد قوِّضت في الحج خيامه، وانتهت أيامه، وولى الحجاج وجوهَهم شطر أوطانهم، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الآونة: وماذا بعد الحج؟ ماذا بعد محو السيئات ورفع الدرجات؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم للأنصاري: «وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غُفر لك ما مضى». (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٢).

وها أنت أيها الحج تعود بصحيفة نقية لا ذنب فيها، وإنما تعمل فيما تستقبل من عمرك من عمل صالح تزين به تلك الصحيفة النقية، ولقد شهدت المشاهد والمشاعر، وجددت العهد مع الله في كل نسك من المناسك، ولكأنك تصغي لسماع آية الكمال والإتمام، إكمال الدِّين وإتمام النعمة حيث أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بعرفات: «ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا» (المائدة:٣).

والدِّين الكامل لا يقبل زيادة، والنعمة التامة لا يجوز

نقصانها وما ارتضاه الله لنا لا بديل عنه أبدًا، وها أنت أيها الحاج قد أعلنت التوبة لله وأشهدته عليها، وأرقت دموع الندم في تلك المشاعر، وعاهدت ربك أن توحد بالعبادة، وأن تفرده بالعمل الخالص لوجهه، وربما بُح صوتك بهذا العهد مع الله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

فأوف بعهدك وحافظ على توبتك، وانظر ماذا تصنع في صحيفتك، واحذر كل الحذر أن تنقض عهدك مع الله، احذر كل الحذر أن تُدنس صحيفة تعبت على تنقيتها، احذر كل الحذر أن تكون ممن عناهم الله بقوله: «وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ» (التوبة:٧٧).

فبأيِّ حجٍّ رجع من دنس العقيدة بضروب الإشراك، ولوثها بألوان البدع والمحدثات، بأي حجٍّ رجع من هدم دينه بترك عموده وهو الصلاة؟ بأي حج رجع من أصرَّ على ما يتعاطى من محرمات، فلم يمنعه حجه عما كان يقترف من ربًا أو تعاطٍ للمسكرات والمخدرات، أو تعامل بالغش والتزوير وسيئ المعاملات، أو وقوع في القطيعة والعقوق وسافل الأخلاق والصفات؟ ألا فلينظر كل حاج في حياته نظرة صحيحة، وبدأ صحفة جديدة، وانطلاقة جادة، هل غيَّر الحاج حياتهم من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن.

إنَّ من مقاييس قبول العمل أو رده أن ينظر المرء إلى آثار ذلك العمل في حياته، فإن من علامة قبول الحسنة الحسنةَ بعدها، فلا بد من تغير كامل، وتبديل شامل، في كل بكير وصغير، وظاهر وباطن، وحاضر ومستقبل، عملاً بقوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (فصلت:٣٠).

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم». (مسلم: ٣٨).

بل الأمر أعظم من ذلك بالنسبة إليك أيها الحاج، لأنك وأنت في منى قد حملة أمانة التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى دين الله، فأنت وافد أهلك من بيت الله وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم ومجامع الحكم، أصول الدِّين ومحاسن الإسلام، وقال صلى الله عليه وسلم: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب». (البخاري: ١٧٤١، ومسلم: ١٦٧٩).

وأنت إن لم تشهد وقت الخطبة وزمانها فقد شاهدت مكانها، وسمعت مضمونها، فبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكن بالاغك قولاً وعملاً، ليرى أثر هذه الفريضة العظيمة في سلوكنا وحياتنا كلها وأخلاقنا السامية متآسين بنبينا صلى الله عليه وسلم.

ثم اننا بعد ذلك نقول لغير الحاج وإن كان ما سبق ذكره لمن عاد من الحج ، فالكلام لهم ولغيرهم لأن التوبة إلى الله مقام لازم لكل مسلم وهأنتم عباد الله تودعون عما قريب عاماً كاملاً مضى من أعماركم، بما أودعتموه من خير وشر، تودعون عامًا ماضيًا شهيداً، وتستقبلون عامًا مقبلاً جديدًا، فليت شعري ماذا أودعتم في العام الماضي وماذا تستقبلون به العام الجديد، فليحاسب العاقل نفسه ولينظر في أمره فإن كان

الدِّين الكامل لا يقبل زيادة، والنعمة التامة لا يجوز نقصانها وما ارتضاه الله لنا لا بديل عنه أبدًا.

قد فرط في شيء من الواجبات فليتب إلى الله وليتدارك ما فات، وإن كان ظالمًا لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات، وإن كان ممن من الله عليه بالاستقامة فليحمد الله على ذلك، وليسأله الثبات عليها إلى الممات، فإن العمر قصير وكل آت قريب، والموت يأتي بغتة، والآجال محدودة، والأنفاس معدودة، والموفق من يسعى لصلاح حاله، بحيث يكون غده خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، فمن أصلح ما بقِي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وبما قضى، فالسعيد من وفق لختام عامه بالتوبة الصادقة بشروطها المعتبرة، وهي: الإقلاع عن الذنوب، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها، لأن الأعمال بالخواتيم، والله عز وجل يقول: « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ » (طه:٨٢).

والكيس من اعتبر بمن ودعناهم إلى دار البرزخ من آباء وأمهات، وإخوان وأخوات، وجيران وأصدقاء، فهم الآن بين أطباق الثرى، وقد سرى فيهم البلى.

ولابد وبكل يقين سيهجم علينا الموت كذلك في آية لحظة من ليل أو نهار، فهل يا ترى: سنبشر بروح وريحان أم لا قدر الله سنقول: «رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ⑩ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » (المنافقون:١١) أو نقول: «رَبِّ ارْجِعُونِ ㊾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » (المؤمنون:١٠٠)، وهيهات هيهات، قال بلال بن سعد: يُقال لأحدنا: تريد أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال له: لمَ؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يجب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا، فالواجب المبادرة إلى التوبة، وترك التسويف، فإنَّ تأخير التوبة هو- بحدِّ ذاته- ذنبٌ يستحق التوبة، كيف وإن المؤمن ليخشى أن يحال بينه وبين التوبة، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم؟ قال الله تعالى: « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ⑰ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (النساء:١٨).

فيا أيها الحاج: ميلاد لك جديد، اعمل فيما تستقبل حتى تلقى ربك.

خلِّ الذنوب صغيرها

وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض

الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصى

ويا إخواني: بعد أيام تطوى صحيفة عام كامل بما فيها ما الله به عليم من خير وشر، وتفتح صحيفة عام جديد بيضاء نقية لا إثم فيها ولا وزر، فحافظ أخي على بياضها وصفائها وتذكر قول الله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يؤمنَّ إلا نفسه». (مسلم: ٢٥٧٧)

اللهم إنا نسألك أن تجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واختم لنا عامنا هذا بالتوبة النصوح والعمل المتقبل المرفوع.

الواجب المبادرة إلى التوبة، وترك التسويف، فإنَّ تأخير التوبة هو- بحدِّ ذاته- ذنبٌ يستحق التوبة.

باب الفقه

الحلقة الثانية

الركــــوع

(تعريفه، حكمه، حكمته، الاطمئنان فيه، صفته، ما يقال فيه، إدراك الركعة به)

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تكلمنا في العدد السابق عن الركوع فبينا تعريفه وذكرنا أن العلماء متفقون على ركنيته والحكمة من تشريعه هو الخضوع والاستسلام لله تعالى وأن الاطمئنان فيه ركن من أركان الصلاة ونكمل الحديث عن باقي ما يتعلق به من مباحث، وهي:

صفته:

الْهَيْئَةُ الْمُجْزِئَةُ في الرُّكُوعِ أَنْ يَنْحَنِيَ المصلِّي انْحنَاءً خَالِصًا قَدْرَ بُلُوغِ رَاحَتَيْه رُكْبَتَيْه بطمَأنينَة، بحَيْثُ يَنْفَصل رَفْعُه من الرُّكُوعِ عَنْ هُوِيِّه.

وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاء إلى أَنَّ أَكْمَل هَيْئَات الرُّكُوع أَنْ يَنْحَنِيَ الْمُصَلِّي بحَيْثُ يَسْتَوِي ظَهْرُهُ وَعُنُقُهُ، وَيَمُدُّهُمَا كَالصَّحِيفَة، وَلَا يَخْفضُ ظَهْرَهُ عَنْ عُنُقه وَلَا يَرْفَعُهُ، وَيَنْصبُ سَاقَيْه إلَى الْحَقْو، وَلَا يَثْنِي رُكْبَتَيْه، وَيَضَعُ يَدَيْه عَلَى رُكْبَتَيْه، وَيَأْخُذُ رُكْبَتَيْه بيَدَيْه، وَيُفَرِّقُ أَصَابعَهُ حينَئذ، فَإِنْ كَانَتْ إحْدَى يَدَيْه مَقْطُوعَةً أَوْ عَليلَةً، فَعَلَ بالأُخْرَى مَا ذَكَرْنَا، وَفَعَلَ بالْعَليلَة الْمُمْكنَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكنْهُ وَضْعُ الْيَدَيْن عَلَى الرُّكْبَتَيْن أَرْسَلَهُمَا، وَيُجَافي الرَّجُل مرْفَقَيْه عَنْ جَنْبَيْه، وَلَوْ لَمْ يَضَعْ يَدَيْه عَلَى رُكْبَتَيْه وَلَكنْ بَلَغَ ذَلكَ الْقَدْرَ أَجْزَأَهُ (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣/١٢٦بتصرف).

وقد وردت عدة أحاديث تبين لنا صفة ركوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة سنقتصر على محل الشاهد منها لعدم الإطالة:

حديث المسيء في صلاته وفيه: (إذا ركعت فضع كفيك على ركبتيك حتى تطمئن) رواه أحمد والترمذي وفي رواية (وإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ثم فرج بين أصابعك ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه).

حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو وفيه: (أنه ركع فجافى يديه ووضع يديه على ركبتيه وفرج بين أصابعه من وراء ركبتيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

قلت: ففي الحديث الأول بين لنا سنة وضع اليدين علي الركبتين وفي الحديث الثاني بين لنا كيفية وضع اليدين. قال الشوكاني: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فضع راحتيك) تثنية راحة وهي الكف جمعها راح بغير تاء. (نيل الأوطار ٢/٢٧٠).

قلت: وَذَكَرَ أَبُو حُمَيْد في حديثه والذي قلنا قبل ذلك أنه أصل في بيان سنن الصلاة: أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَضَعَ يَدَيْه عَلَى رُكْبَتَيْه كَأَنَّهُ قَابضٌ عَلَيْهِمَا.

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المسيء صلاته) بالتفريج فقال له: (ثم فرج بين أصابعك ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه) قال الشوكاني: قوله - أي أبو مسعود (وفرج بين أصابعه) أي فرق بينها جاعلا لها وراء ركبتيه وقوله (فجافى يديه) أي باعدهما عن جنبيه وهو من الجفاء وهو البعد عن الشيء (نيل الأوطار ٢/٢٧٠ بتصرف).

قال ابن عثيمين: ينبغي أن يفرِّج يديه عن جنبيه، ولكنه مشروط بما إذا لم يكن فيه أذيَّة، فإنْ كان فيه أذيَّة لمن كان إلى جنبه؛ فإنه لا ينبغي للإنسان أن يفعل سُنَّة يؤذي بها غيره. (الشرح المَمتع على زاد المستقنع ٣/٩٠).

قال الشوكاني: والحديثان يدلان على مشروعية ما اشتملا عليه من هيئات الركوع ولا خلاف في شيء منها بين أهل العلم إلا للقائلين بمشروعية

التطبيق (نيل الأوطار ٢/ ٢٧٠).

وألفتُ النظرِ إلى أن التطبيق في الركوع كَانَ مَشْرُوعًا فِي أَوَّل الإِسْلاَمِ ثُمَّ نُسِخَ وَالتَّطْبِيقُ فِي الرُّكُوعِ، هُوَ أَنْ يَجْعَل الْمُصَلِّي إِحْدَى كَفَّيْه عَلَى الأُخْرَى ثُمَّ يَجْعَلَهُمَا بَيْنَ رُكْبَتَيْه أَوْ فَخذَيْه إِذَا رَكَعَ.وهو مذهب جماهير أهل العلم. واحتجوا لذلك بما رواه علقمة عن عبد الله - ابن مسعود - قال«علّمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصلاة، فكبّر ورفع يديه، ثم ركع وطبّق بين يديه وجعلهما بين ركبتيه، فبلغ سعداً فقال: صدق أخي قد كنا نفعل ذلك ثم أمرنا بهذا، وأخذ بركبتيه» رواه أحمد والنسائي وعن مصعب بن سعد قال «صليت إلى جنب أبي فطبّقتُ بين كفّيَّ ثم وضعتهما بين فخذيَّ، فنهاني أبي وقال: كنا نفعله فنُهينا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الرُّكَب» رواه البخاري. ومسلم. (الجامع لأحكام الصلاة ٢/ ٢٣٨، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣/ ١٢٦).

وأما استواء الظهر في الركوع فيدل عليه ما رواه البراء قال: (كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا ركع بسط ظهره) رواه البيهقي وقال للمسيء صلاته: (فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك وامدد ظهرك ومكن لركوعك) (رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح) (صفة الصلاة - الألباني ص ١٣٠).

وَعَنْ أَبِي حُمَيْد السَّاعديِّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَال : «رأيته إذا ركع، أمكن يديه من ركبتيه، ثم هصر ظهره» يعني عصره حتى يعتدل. قوله (ثم هصر ظهره) هو بالهاء والصاد المهملة المفتوحتين أي ثناه في استواء من غير تقويس، ذكره الخطابي (فتح الباري لابن حجر" ٢/ ٢٤٥).

ودليل عدم رفع الرأس وعدم خفضه في الركوع: قول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلكَ» رواه مسلم. قال القرطبي: قولها: " لم يُشْخص رأسه ولم يصوِّبه " ؛ تعني: لم يرفع رأسه بحيث يُرى له شخص ولم ينزله. وهو من: صَابَ يصوب ؛ إذا نزل.(المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/ ١٦١) وفي رواية أبي حُمَيْد السَّاعِديِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَال: كَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ رَفَعَ يَدَيْه حَتَّى يُحَاذيَ بهمَا مَنْكبَيْه، ثُمَّ قَال: اللّه أَكْبَرُ، وَرَكَعَ، ثُمَّ اعْتَدَل، فَلَمْ يُصَوِّبْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُقْنِعْ) قال ابن عثيمين: وهذا يدلُّ على كمال التسوية، فيكون الظَّهرُ والرأسُ سواء، ويكون الظَّهرُ ممدوداً مستوياً.(الشرح الممتع ٣/ ٩٠).

ما يقال فيه :

١- حكم التَّسْبيحُ في الرُّكُوع:

السُّنَّةُ في الركوع تعظيم الرَّب عزَّ وجلَّ، لما روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه «... فأما الركوع فعظّموا فيه الرَّبَّ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم» رواه مسلم.

وقد اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى مَشْرُوعيَّة التَّسْبيح في الرُّكُوع لحَديث عُقْبَةَ بْن عَامر قَال: لَمَّا نَزَلَتْ «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيم» قَال رَسُول اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعكُمْ . وَاخْتَلَفُوا فيمَا وَرَاءَ ذَلكَ منَ الأَحْكَام. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣/ ١٢٣).

فَمَذْهَبُ الْحَنَفيَّة أَنَّ التَّسْبيحَ في الرُّكُوع سُنَّةٌ، وَأَقَلُّهُ ثَلاَثٌ، فَإِنْ تَرَكَ التَّسْبيحَ أَوْ نَقَصَ عَنِ الثَّلاَث كُرهَ تَنْزِيهًا. بدائع الصنائع لعلاء الدين الكاساني ١/ ٢٠٨.

وَذَهَبَ الْمَالكيَّةُ إِلَى أَنَّ التَّسْبيحَ في الرُّكُوع مَنْدُوبٌ بِأَيِّ لَفْظ كَانَ، وَالأَوْلَى سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظيم وَبِحَمْده، وَالتَّسْبيحُ لاَ يَتَحَدَّدُ بعَدَد، بَل إِذَا سَبَّحَ مَرَّةً يَحْصُل لَهُ الثَّوَابُ. الفواكه الدواني للنفراوي ٢ / ٢٥٥.

وَقَال الشَّافعيَّةُ: يُسَنُّ التَّسْبيحُ في الرُّكُوع، وَيَحْصُل أَصْل السُّنَّة بتَسْبيحَة وَاحدَة، وَأَدْنَى الْكَمَال سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظيم وَبِحَمْده ثَلاَثًا . مغني المحتاج للخطيب الشربيني ١/ ١٦٥.

وَذَهَبَ الْحَنَابلَةُ إِلَى أَنَّهُ يُشْرَعُ للْمُصَلِّي أَنْ يَقُول في رُكُوعه: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظيم، وَهُوَ أَدْنَى الْكَمَال، وَالْوَاجبُ مَرَّةٌ، وَالسُّنَّةُ ثَلاَثٌ، وَهُوَ أَدْنَى الْكَمَال. [المغني - ابن قدامة ١/ ٥٧٨ (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣/ ١٢٣).

واحتج من أوجب التسبيح في الركوع بحديث عقبة بن عامر وفيه: لما نزل قوله تعالى: فَسَبِّحْ

باسْم رَبِّكَ الْعَظِيم [الواقعة:٧٤ قال عليه الصلاة والسلام: (اجعلوها في ركوعكم)، رواه أبو داود فإن قوله: (اجعلوها) أمر، والقاعدة تقول: الأمر يدل على الوجوب إلا إذا قام الدليل على صرفه. فوَجَب على المكلف أن يمتثل هذا الأمر على سبيل اللزوم، شرح زاد المستقنع للشنقيطي ١١٣/٢).

قلت: هذا الحديث ضعفه غير واحد من أهل العلم وصححه آخرون (انظر في ذلك إرواء الغليل للألباني (٣٣٤) وعلي القول بصحته سيأتي الإجابة عنه.

واحتجوا بأن النبي صلي الله عليه وسلم كان يفعله وقال صلي الله عليه وسلم " صلوا كما رأيتموني اصلي " وبالقياس علي القراءة لأن مواضع هذه الأذكار أركان الصلاة فكان فيها ذكر واجب كالقيام[المغني - ابن قدامة ٥٧٨/١ (واحتج الجمهور) بحديث المسيء صلاته فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علمه واجبات الصلاة ولم يعلمه هذه الأذكار مع أنه علمه تكبيرة الإحرام والقراءة فلو كانت هذه الأذكار واجبة لعلمه إياها بل هذه أولي بالتعليم لو كانت واجبة لأنها تقال سرا وتخفى ولأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز فيكون تركه لتعليمه دالا على أن الأوامر الواردة بما زاد على ما علمه للاستحباب لا للوجوب جمعا بين الأدلة [المجموع للنووي ٤١٤/٣، نيل الأوطار - الشوكاني ٢٧٠/٢ .

واما القياس علي القراءة فرد عليه النووي بقوله: فرق أصحابنا بأن الأفعال في الصلاة ضربان (أحدهما) معتاد للناس في غير الصلاة وهو القيام والقعود وهذا لا تتميز العبادة فيه عن العادة فوجب فيه الذكر ليتميز (والثاني) غير معتاد وهو الركوع والسجود فهو خضوع في نفسه متميز لصورته عن أفعال العادة فلم يفتقر إلى مميز والله أعلم. [المجموع ٤١٤/٣ . ومن هذا يتبين قوة أدلة الجمهور ورجحان ما ذهبوا إليه لأن ترك تعليم المسيء صلاته يدل على عدم الوجوب.

٢ - الأذكار التي تقال في الركوع:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في هذا الركن أنواعًا من الأذكار والأدعية، تارة بهذا، وتارة بهذا، وقد وردت في الأحاديث عدة صيغ للذّكر في الركوع أشهرها وأولاها «سبحان ربي العظيم» ثلاثاً، فيُسنُّ الأخذ بها وتقديمها على غيرها من الأذكار، وإنما قلت بتقديم هذه الصيغة على غيرها من الأذكار التي سأذكرها بعد قليل لأنها الصيغة الوحيدة التي أمرنا بها الرسول - صلى الله عليه وسلم -، في حين أن الأذكار الأخرى قد وردت من أفعاله فحسب، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال «لما نزلت فسبِّح باسم ربك العظيم، قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال: اجعلوها في سجودكم» رواه أحمد وابن ماجة وابن حبَّان.

وعن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه «أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول إذا ركع: سبحان ربي العظيم، ثلاث مرات، وإذا سجد قال: سبحان ربي الأعلى، ثلاث مرات» (رواه ابن ماجة وابن حبَّان وأحمد والنَّسائي).

وكان - أحيانا - يكررها أكثر من ذلك وبالغ مرة في تكرارها في صلاة الليل حتى كان ركوعة قريبا من قيامه، ثم لا مانع من قول أية صيغة أخرى عقبها، إذ لا محذور من الجمع بين ذكرين أو أكثر من هذه الأذكار في الركوع الواحد. وهذه الصيغ هي:

١- (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) [مسلم .

٢- اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت [أنت ربي خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي (وفي رواية وعظامي) وعصبي [وما استقلت به قدمي لله رب العالمين) (النسائي).

٣- (اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين) (مسلم).

٤- (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة) (أبو داود والنسائي . وهذا قاله في صلاة الليل).

٥ - (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي. وكان يكثر - منه - في ركوعه وسجوده يتأول القرآن) (البخاري ومسلم).

٦ - (سبحان ربي العظيم وبحمده (ثلاثا) [ينظر صفة الصلاة - الألباني .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

دليل وحدانية الله

قال تعالى: « مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ » **(المؤمنون: ٩١)**

من دلائل النبوة

استجابة الله دعاء نبيه

عنْ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّه عنْهُما أنْ رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليْه وسَلَّم قَال وهُو في قُبَّة يَوْمَ بَدْر: اللَّهُمَّ إني أَنْشُدُكَ عهْدكَ ووعْدكَ، اللَّهُمَّ إنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ بعْدَ اليَوْم. فأَخَذَ أَبُو بَكْر بيَدِه فقَال: حَسْبُكَ يا رَسُولَ اللَّه، أَلْححْتَ على رَبِّكَ. وهُوَ يَثِبُ في الدِّرْع فخَرَج وهُوَ يقُولُ «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُر» (صحيح البخاري: ٤٨٧٥).

فضل الصيام في شهر الله المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم. (صحيح مسلم ١١٦٣)

فضل صيام يوم عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم عاشوراء فقال: يكفر السنة الماضية. (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

فضل أبي بكر وعمر

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر وعمر سيّدا كهولِ أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تُخبرهما يا عليّ ما داما حيَّيْن. (سنن ابن ماجة ٩٥ وصححه الألباني)

من حكمة الشعر

قال ابن قريع في القناعة:

ارض من الدهر ما أتاك به
من يرض يومًا بعيشه نفعه
قد يجمع المال غير آكله
ويأكل المال غير من جمعه

العقد الفريد

من معاني الأحاديث

وفيه الحديث «لعن المترجلات من النساء» يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيأتهم. فأما في العلم والرأي فمحمود. وفي رواية «لعن الرَّجلة من النساء» بمعنى المترجلة. ويقال امرأة رَجلة: إذا تشبهت بالرجال في الرأي والمعرفة. (النهاية لابن الأثير)

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

◆ ◆ ◆ ◆

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

◆ ◆ ◆ ◆

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

◆ ◆ ◆ ◆

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

الآن مفاجأة سارة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٢ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موسوعة التوحيد ببلاش

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .

التوحيد
١٤٣٥
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٥ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط

١٤٣٥

☎ 23936517